

فضاءات السعدي

الكاتب : جهاد عزت عبد الحليم

مؤلفات للكاتب

جهاد عزت عبد الحليم

أولاً : مسرحية " قرية كفر كنعان " التي تم عرضها في دولة الكويت ، عام ١٩٨٨م

ثانياً : مسرحية " إبريق الزيت ، التي مثلت دولة فلسطين ، في جمهورية مصر العربية ، ملتقى القاهرة العلمي لعروض المسرح العربي ، عام ١٩٩٤م .

ثالثاً : فضاءات السعدي عام ٢٠١٣م

عن سيرة رداحي الفضائيات

عند التفكير بكتابة هذه " الفضاءات " ،
وجدتني عاشقا لفلستيني لوطني، المصاب بسرطان
بالاحتلال الإسرائيلي، الهم الصادم يوميا، ليكون هو
الموضوع، من بين المقاومين، حاولت البحث ، عن
مقاوم واحد، ليكون بطلا ، لهذه الفضاءات ، فلم أجده .

المقاومون الذين تسببوا في دمار شعبهم،
وبالهبزيمة أيضاً، وجدناهم في اليوم التالي، أقاموا
الاحتفالات بانتصاراتهم، هذا هو مرض الانفصام،
الذي أصاب شعباً بأكمله، ما انبعث طائر الفينيق، من
رماده، وما سقط انتصاراً من السماء ... عن أي
المقاومين أكتب؟! عن رَدّاحي الفضائيات؟، عن
التعفن في الذهن والأفواه؟، عن تعبئة فلذات أكبادنا،
بالكراهية والظلام؟! ، عن قدسية التنظيم، وليسقط
الوطن؟ عبر الفضائيات!؟

من على محطة الردح الفضائية التي استضافت
كافة الرتب السياسية ، والعسكرية والاعلامية، والبت
المباشر لانتصارات الجيش الاسرائيلي، على
الارهاب. اما العالم الأذكى، نهض من نومه في كل

يوم، مهناً بالانتصار المبين، للديمقراطية على الإرهاب.

ولم تكمل الرواية عن خبر واحد منذ نشأت بل اخفت كامل الحقيقة خبثاً صهيونياً بان ترسانة الأسلحة الصهيونية النووية زجت بالأساطيل العسكرية الأمريكية لاجتياح سجن العزبة للانتصار على مواسير العزبة التي حاولت القفز من على جدار الفصل العنصري.

وعليه قرّرت الكتابة، عن أبطال أفتخر بهم، أولئك المصابين، بالأمراض النفسية، الناتجة عن الاحتلال.

الضريح العالي

رام الله

إلى الضريح العالي، إلى شاعرنا العملاق
محمود درويش، الذي كنت استردّ به عافيتي، عند كل
إحباط، قراءاتي للعملاق لم تعد تشفيني.

قرأت ما كتبه لنا على الضريح: "على هذه
الأرض، سيدة الأرض، ما يستحق الحياة"، في دقائق
أعادني إلى شموخي، فقد كنت من المحظوظين،
بحضور آخر أمسياته الشعرية في رام الله، حين حلق
بنا طائراً، إلى فضاءات جديدة، اكتشفها للتو، لغة
شعرية جديدة، أبدعها العملاق للتو، فلسفة إنسانية
كونية، حلق بنا، فوق أصقاع الكون، مسكونا بهمّ
الضحية، ومبشراً بالسلام.

من على الضريح العالي، رأيت فضاءً مفتوحاً،
إلى قرية "البروة"، حيث "الأم الكبرى" ، التي
أبدعته، فكلما حن إلى خبز أمه، أو قهوتها، حلق عالياً
إليها، من خلال هذا الفضاء.

من على الضريح العالي، سمعتُ اللغة الشعرية، التي أبدعها بالأمس، لم لا؟! وهو سليل لحضارة كنعانية، أبدعت أول حروف أبجدية، لأول لغة مقروءة ومكتوبة، من هنا، من هذا الفضاء، نثرها الكنعانيون ، لتصبح لغة كونية استخدمها كل من تحدث اللغة العربية، وكافة اللغات المشتقة من اللغة اللاتينية مثل الانجليزية والفرنسية والاسبانية والايطالية.

هذا ما ابداع العملاق بالأمس، لغة شعرية جديدة. من على الضريح العالي، نظرت إلى أسفل الأسفل، رأيت عازلهم وقد بدا امتداداً، لثقافة العالم الأسفل، ناشزاً عن الطبيعة الجغرافية والتاريخية للنبلأ أبناء الحضارات ذوي الفضاءات المفتوحة على الأرض وفي العقول.

محمد السعدي

حنظلة البلد

كيس "أبو حز أحمر"

في عمر لم يبلغ الثانية عشر منه، أولاد الحارة الشهابيين، تيسير النجار ومحمود الأسد وأنور حامد وعارف وحمدالله وعميد ونهاد ومحمد الجميل، كانوا في رحلة صيفية، إلى منطقة تقع بالقرب من قرية "أبو العز"، تسمى "الخرق" وهي عبارة عن نفق جبلي مظلم، لقطار الشرق السريع، الذي حفره الألمان والأتراك في بداية الحرب العالمية الأولى، وما هو مثير للأولاد، ذاك الظلام الدامس المرعب داخله .

مشياً على الأقدام ساعة أو أكثر، حتى وصلوا أجمل المناطق الجبلية، التي مازالت تحتفظ بعذريتها العشتارية الولود الخصيب، منذ فجر التاريخ.

أمسك أولاد الحارة كل بيد الآخر، محاولين التخفيف من خوفهم، دخلوا مسرعين، "غنوا الدلعونا"، سمعوا صدى الأصوات في أول درس عن الصدى.

في المنطقة الأكثر حلقة، وإذ بأصوات أشباح وغيلان، صمّت الآذان، عادوا هاربين، سكت الصوت فجأة.. وإذا بصوت ينادي:

"أنا محمد السعدي، ما تخافوا، أنا محمد السعدي"، ضحك وقهقه بأعلى صوته: "شفتكم جابين اتخببتلكم".

أمسكوا به جميعاً، أشبعوه ضرباً مجتمعين، أما هو فقد ضحك حتى انبطح أرضاً، من ثم قاد أولاد الحارة واضعاً يديه خلف ظهره ممسكاً بعصاه الصغيرة، حتى خرجوا من نهاية النفق، إلى فضاء جبلي شامخ مليء بالزعر والشومر.

أسرعوا في "تلقيط الزعر"، وكأنهم في سباق مليء بالبهجة، ملأوا كيس "أبو حز إحمر" لمحمد السعدي، الذي امتطى حمارته والكيس معاً، كما فعل "نص نصيص" منتصراً دائماً على الغيلان، من ثم عاد إلى "أبو العز" حيث باع الكيس لتاجر الخضار، واشترى لأمه ولجدته "وقية سمرة".

وما أن وصلوا الحارة، حتى سمعوا صوت المذياع من كل منزل، ينقل نشرات الأخبار، من إذاعة صوت العرب، وآخرين استمعوا للأغاني الوطنية من إذاعة "صوت العاصفة العاصفة".

اقترب عميد من شباك بيته، الأب والأم لم يعرفا أين كان، منذ الصباح وحتى المساء، وهذا يعني عقاباً

بالضرب من الأب الذي عمل مدرساً، مؤمناً بنظام العقوبات في المدرسة وفي البيت أيضاً، لكن الجوع دفع عميد للمجازفة بالاقتراب من الشباك، استمع للمذيع عن ذاك الهجوم الإسرائيلي.

الأب طارق الشهابي: " الحق لازم يرجع لأصحابه، فلسطين لنا".

حياة الشهابي: "يا رب من عندك النصر، يا رب انصرنا على هالقوم الظالمين".

طارق: "بكرة رايحين نتغدى سمك في يافا، وأنا عازمكم".

حياة: "ليش التبذير؟ أنا بدي أطبخ ملوخية، وبنوخذها معنا على البحر".

الحديث عن السمك والملوخية، زاد جوع عميد كفراً، تسلل إلى المطبخ فوراً، فأكل مثلما أكل قوم "أجوج ومأجوج"، ومن ثم سمع عن طائرات اسرائيلية تقصف وأخرى تسقط، كان اليوم الأول للهجوم الإسرائيلي على مصر وسوريا ولبنان وفلسطين، في شهر حزيران ١٩٦٧.

أيام الحرب الحزيرانية

طوال أيام الحرب الثلاثة الأولى، أهل الحارة الشهابيين رجالاً ونساءً وشباباً وأطفالاً، افترشوا الأرض امام "البوابة الكبيرة"، على شكل دائرتين الأولى توسطها مذياع لسماع إذاعة "صوت العرب"، والثانية لسماع إذاعة "صوت العاصفة"، وأخبار صد العدوان الذي تبعه التصفيق فرحاً.

طارق الشهابي ومجموعة من الرجال تطوعوا في "الدفاع المدني"، حياة قامت بتحضير ما وعدت به، ولم يكن الغداء على شواطئ يافا؟!!

انسحب الجيش العربي، المرابط خلف جبل المنطار، بكامل عتاده، تبعهم الطباخ "أبو عزيز" بكامل "طناجره"، واتجهوا شرقاً.

الأمهات جمعن الأسر خائفات، وسرن بهن إلى منطقة "رؤوس الملك"، حيث مغارة "سليمان الشهابي"، ملجأ للجميع.

في اليوم الرابع مرّت طائرتان حربيتان قادمتين من الشرق، صرخ الأستاذ جمال البعثي فرحاً: "إنها عراقية".

قفز الجميع إلى السماء هاتفين منتشين بالحسم وصد الهجوم الإسرائيلي.

في اليوم الخامس، أكدت الإذاعات الوطنية والإشاعات أيضاً أن دبابات الجيش العراقي قد وصلت أريحا والخليل وطوباس، لصد عدوان الجيش الإسرائيلي، انتشلتنا الخبر من خوفنا الشديد.

في اليوم السادس هرع أهالي البلدة إلى ملاجئ، حيث اختبأ الجميع إثر قصف متواصل بالطيران والمدفعية والإسرائيليين.

رثل من الدبابات والمصفحات والسيارات العسكرية دخلت البلد من الشرق، أطلقوا رصاص الرشاشات الثقيلة على المنازل، وإذا بالجيش الإسرائيلي قد احتل كامل فلسطين، ونجمة داوود اخترقت القلب، ومازالت كذلك.

في فضاء مدينة نابلس

دبابتان للجيش العربي، وعشرون عسكرياً من سلاح المشاة خاضوا حرباً بالمدفعية والبنادق منذ اليوم الأول للحرب، حين أطلق القائد الرصاص مفجراً جهاز اللاسلكي، رافضاً الأوامر العسكرية صارخاً: "لن ننسحب أيها المسخوط".

حتى اليوم السادس حين حلقت طائرات عسكرية إسرائيلية، ألقت بقنابل "النابالم" الحارق للدبابات، الحارق للبشر، للأباء البواسل.

محمد السعدي نادى أولاد الحارة، ركبوا أول الحافلات إلى مدينة نابلس.

قفز السعدي الى أرض المعركة السوداء: أين أبي أيها البواسل؟ هل عرفتم عادل الشهابي؟! هو بطل في سلاح المشاة مثلكم، أجيبوني أيها الآباء، أينها الجثث المحروقة.

عميد: يقال أن أرواح الأحياء الشهداء سعدت طيفا ملائكياً في فضاء مدينة نابلس، ويقال أيضا أن أرض وادي التفاح، حفظتهم في القلب، وما زالت

تحفظهم حتى نرفعهم على الأكتاف من ظلال الأشجار
إلى فضاءات جبل الطور الكنعاني.

اليوم السابع

قال طارق الشهابي: "إن هذا العدد المَهُولُ من الأسلحة المتطورة والجنود التي استخدموها لدخول البلد توحى بأننا نملك ترسانة أسلحة متطورة".

وفي مؤتمر صحفي، أعلنت "جولدا مائير" ووزير دفاعها "موشى ديان"، انتصارهم العسكري الساحق.

قال عميد: "انتصارات جيوش الأساطيل العملاقة على خرطوش البلدية؟! على شعب مدني فقير اعزل، على نصف مليون إنسان فلسطيني؟! بتعداد حي من أحياء تل ابيب؟!!"

"فاجأ سمعنا صوت "الداوي" مؤذنُ الجامع ينادي حزينا:

"يا أهالي البلد: عليكم الرحيل "انتحب، معاكم ساعتين، للتهجير للتشريد".

توقف ابن مدينة اللد، ابن النكبة الكبرى، عشرون عاما يعيش فاجعة حياة اللاجئين، احتمل آلامها

المتزايدة في كل يوم، بل في كل ساعة، املا بقرب
حلول السلام، داعيا الله باحلال السلام في كل صلاة.

تبعه ضابط اسرائيلي بصوت مستنْفَخ بالانتصار!

"يعني بروخ عند خسين، بأمر عسكري، اللي ما
برحل يقتل".

شعر عميد أن والديه وفلسطين، والكرة الأرضية
بكاملها، قد سقطت إلى ظلام أبديّ، ساعتان مثل يوم
القيامة، عاش الرجال صدمة الغطرسة الاحتلالية، أباه
ساهبٌ في الحزن والتفكير، عويل النساء الموجه
يخترق عنان السماء.

هرول الجميع مذعوراً، إلى الشارع الرئيسي،
للرحيل والتشريد، حاملين ما أمكن من مأكّل أو ملبس،
خرجوا من البيت، وجدوا المصفحات منتشرةً كما
العفاريث، في كل مكان وفي كل زاوية، التصق
الأطفال بأمهاتهم، نزلت جميع أسر الحارة، على شكل
مجموعات، صامتتين، كما أمرنا ذاك المدفع.

أم محمد السعدي، والإخوة الصغار، ناحت الأم
كاتمةً صوتها، نظرت خلفها.

اقتربَ عميد منها، سألها بصوت منخفض: "وين محمد؟!"

أم محمد: "لحق سته ع الخلة !! لما سمعت اللداوي، أخذت أكل وركبت الحمار، وسرحت ع الخلة، راح يجيبها ويلحقنا".

عندما وصل الركب إلى الشارع الرئيسي إلى جانب "العصارة الشرقية"، افترشوا الأرض وتلحفوا السماء، سمعوا هدير الشاحنات المتواصل، أما البشر كما المقابر، لا صوت ولا حركة، وعلى الرصيف المقابل، وقف جنود، صوبوا البنادق نحو الرؤوس.

الشاحنات حملت أحبتنا وأفدتنا مسرعة إلى الشرق، إلى المجهول الدامس؟! إلى مذابح جديدة مثل مذبح دير ياسين!؟

تابع عميد كل شاحنة، محاولاً رؤية وليد الشهابي والأخت عائدة الشهابي وصغيريها نائل الذي لم يتعد عمره الخمس سنوات، وابنتها عبيدة التي لم تتعد الثلاث سنوات.

وإذا بصوتها انتزع قلب عميد ومهجته، انفجر
الدم في عروقه حين نادى من على الشاحنة:

"يما يما"، قالتها بصوت مُدوّ، أخذ بعميد لكون
آخر من الألم، الذي مازال مسكوناً بذاك النداء، بذاك
التشريد؟!، بكى، صرخ، تمزقت أمعاؤه.

اليوم الثامن

في ذاك الليل الحالك بالظلمة والبنادق، ما كان هناك فرصة للنوم، استمرت الشاحنات بالتشريد والتهجير، إلى مجهولٍ مظلم، لم يبقَ في "أبو العز"، سوى خمسين أسرة من أصل أربعمئة أسرة.

في العاشرة صباحاً من اليوم الثامن، صرخ بهم الجنود بحقد:

"يلله، انتوا ارجعوا على البيت".

أما الضابط أُنثّر لهم "بالبسطار" صارخاً:
"ارجعوا على البيت بقول".

عادت الأسرة حزينة عدا الصغار.

قالت حياة: "مبسوطين على رحيل أختكم؟! أختكم وولادها وين؟؟".

عاد عميدٌ إلى الحارة، فكانت خواءً كالمقابر، بيت محمد السعدي مُشرَّعة الأبواب، كانت خواءً أيضاً، لم يسمع في البلد سوى صهيل الخيول العطشى

وئغاء الأغانم، شاهد المنازل التي كَسَرَ أصحابها
الشبابيك والأبواب.

مَشَى عميد صاعداً باتجاه الحاووز، وإذا
بالسَّعدي حاملاً عصاه الصغيرة، وشعراته العشرة
وقفت على رأسه كما الإبر، فرح كثيراً عند رؤيته مع
جدته "هند" تعتلي حمارتها.

محمد: "شو رجعتوا؟".

الجدة هند: "في جيش في الحارة؟".

عميد: "لأ ما فيش جيش، نزلوا ع الشارع".

محمد: "أمي وأهلي؟ تشردوا؟! تهجروا?!".

عميد: "من امبارح.. ودار أختي عائدة تشردوا".

الجدة هند: "مارتوش علي، قتلهم ما تنزلزا
عالشارع، اطلعوا معي ع الخلة، ما ترحلوش، ظبوعة
شرقة بتوكلكم، لا سمعوا مني ولا ردوا".

في الثانية عشرة من العمر، لم يستوعب عميد ما
قالت، حتى وَجَهُ محمد الحزين الخانق، لم يرد ان
يستوعب ما قال، عيناه دفتت بحزن ودم، رمى بعصاهُ

في سماء الشرق، ربما قصد اللعنة، وربما كانت له
مآرب أخرى، وما يذكره عميد، أنّ أيديهما تشابكت،
وكذلك الأصابع، ومن ثم عادوا الى الحارة.

في بيت الجد

طارق الشهابي عاد الى بيته غاضبا منهكا،
اغرورقت عيناه الخضراوان بالدم الأحمر.

قال لعميد: لم أر جدك ولا أخاك رياض على أي
من الشاحنات، ربما قتلا، اذهب للبحث عنهما.

في بيت الجد سعيد الشهابي، الواقع على قمة
جبل ابو العز، فضاء مفتوحا الى ارض السهل، حيث
يمتلك أربعين دونماً، مزروعة بأشجار الزيتون
والخضراوات، مراقباً للمزارعين ومنظراً كبيراً إن
لزم الأمر.

في بيته ذي الطابقين، استضاف ابناء العائلة
الشهابيين المهجرين من مدينة طولكرم، أخي الكبير
رياض، قضى ثلاثة ايام متتالية في بيت الجد،
للمساعدة في الضيافة.

يوم سمع سعيد الشهابي، "اللداوي" المؤذن،
ينادي للرحيل وقف بقامته الطويلة مرتديا القمباز
والحطة الانيفتين.

سحب المسدس من حزامه الجلدي، وأقسم بأنه لن يرحل، لن يسمح لأسرته ولا لضيوفه بالرحيل، "سوف أقاوم بهذا المسدس حتى آخر رصاصة".

طارق الشهابي بانتظار خبر لم يطل، عاد عميد مبشرا: لم يقتل جدي، لم يقتل أخي الأكبر رياض، اصدقاء العائلة الشهابيين عادوا الى طولكرم سالمين.

أما محمد السعدي قصير القامة عاد إلى الحارة، تسلق سطح الحاووز بخفة، مستطلعاً الشرق! ممسكا بعصاه الصغيرة منتظراً عودة أمه.

البوابات الواسعة

خلال ساعة واحدة فقط، أُلقت الشاحنات بأم السعدي وصغارها على ضفة نهر الأردن الغربية، تطاردها مصفحات جيش الاحتلال والطائرات أيضاً، وإذا بالأسيجة العالية قد ثبتت، والخوازيق الأعلى قد زُرعت في الأرض، حيث الألغام العسكرية، وجدت أم السعدي بوابات واسعة مفتوحة أسرع باتجاه إحداها، أم السعدي التي لم تعرف في حياتها سوى طهارة الخلّة، لم تتردد ثانية واحدة في النجاة بالأرواح من الموت الأكيد لها ولصغارها فلذات أكبادها حين عبرت نهر الأردن مشياً على الأقدام، بضع دقائق فقط أغلقت جميع البوابات العسكرية الواسعة التي لم يكتب عليها للخروج الأبدي فقط، لا تعرف أن هناك خبثاً في الحياة، لكنها أصبحت ما وراء الحدود.

حياة السعدي

لم تعد حياة محمد السعدي بهجةً وسروراً، ففي كل صباح يصحو حالماً بعودة أسرته فلا يجدهم.

وفي كل ظهيرة نزل إلى الشارع الرئيسي، سائلاً كل من سافر إلى الأردن، علّه يستنشق خبراً عطرياً عن والديه وإخوته.

وفي كل مساء يزور بيت الأستاذ سليمان الشهابي، جاره المباشر لينصت بشوق إلى الإذاعة الأردنية، التي بثت برنامج "سلامي لكم يا أهل الأرض المحتلة"، علّه يسمع سلاماً، علّه يلتف بخرقه أمه حول أذنيه، دفناً وحناناً.

أشواق السعدي تحولت إلى نيران، كلما صعد إلى الحاووز، تناقص الأمل، لكنه حين سمع سلاماً وان أباه على قيد الحياة، وأنهم بخير، قفز فرحاً، باتجاه "الخلّة"، أبلغ جدته السلام، ارتدت له عافيته، ساعدها في زراعة "الخلّة"، لسنوات تأرجح ما بين الخلّة والحاووز، ما بين الأمل والألم.

بعد وفاة جدته هند السعدي، كان في السادسة عشرة من العمر، لم يرغب برؤية عميد، ولا أي من أولاد الحارة، لم يرغب بالخروج من بيته، احتقن وجهه وعيناه، وإذا خرج ما احتملَ سماع أي صوت، الجارات الأمهات، زوَدنه بالطعام، ولكنه لم يرغب بأيّ طعام. ذهبَ عميدَ الى بيته، أمسك بيده عميد، مشياً على الأقدام إلى عيادة الصحة لمراجعة الطبيب، الذي شحّص المرض بفقر الدم، ناوله علاجاً "مقويًا للدم".

عادا الى البيت، ألقى بالأدوية، وعاد إلى عالمه الخاص لدقائق، ومن ثم انتصب قوياً صارخاً: "ليش اليهود مجرمين؟! ليش شردوا إمي أنا؟ ليش أبوي أنا؟ ليش إختي أنا؟ ليش اليهود حيوانات مفترسة؟!".

في ذلك العمر، لم يستوعب عميد الاسئلة، لم يجد إجابات، بل انفجر قلبه ألماً، ارتجف حزناً وبكى وبكى.

ما زال كلما رأى جندياً اسرائيلياً ففرتُ إلى ذهنه صورة السعدي، بذات الحزن والألم، واشتباك ذات السؤال، الذي أصبح مثل صعقات كهربائية في الرأس.

إلى أصقاع الأرض

شباب العائلة الشهابيين في وطن الاحتلال
الإسرائيلي والجامعات واللافرصة عمل سافروا الى
باحثين عن جامعات تقبل تعليمهم.

تيسير النجار الى السعودية، محمود الاسد الى
الأردن، انور الى المجر، سمير الى الكويت، محمد
الجميل الى تركيا، نهاد الى باكستان، نهاد الصغير الى
انقرة، عارف الى مصر، عميد الى الهند، حمدالله الى
مصر.

محمد السعدي بقي في الخلة، كما اوصته جدته
هند السعدي "اياك بالسفر ف جيش الاحتلال سوف يبني
مستوطنة فيها"، السعدي عاش وحيدا ثلاثي الآلام
دون أسرته، دون جدته، دون شباب الحارة.

حاووز ناجي العلي

بكاه عميد الشهابي كما بكى محمد السعدي،
الشهيد الأسطوري ناجي العلي، الناجي الذي نجى
طفلاً من المذابح والمحارق، في قرية "السجرة"، حين
عاش النكبة الكبرى ليعيش التهجير الأول، عام
١٩٤٨.

في عمر لم يتجاوز العشرة أعوام اصبح رساما
مبدعا رسم اهل القرية بغصن التين رسما كاريكاتيرا
مليئا بالفكاهة.

ناجي ابن الجليل الكنعاني اصبح لاجئا في مخيم
عين الحلوة، ممسكا بغصن التين الصغير رساما
كاريكاتيريا للصحف اللبنانية.

في الكويت، حرص عميد في كل صباح، أن
يشترى الصحيفة التي رسم بها مبدعنا، طوال سنوات
الاغتراب، قال له " صباح الخير يا عميد" في كل
رسم "كاريكاتير"، كما تابعه كل فلسطيني في الشتات
والداخل .

ناجي العلي المفعم بالحياة وخفة الظل، المتجذر بالأصالة، والموقف الإنساني والسياسي الحاد الذكاء، حين عاش "المذابح والمحارق"، شاباً في مخيم "عين الحلوة" صبرا و شاتيلا ، رسمها لنا، أولاً بأول، ذاك الجليلي الصغير المتجذر بأخلاقه وثقافته، هو الذي حول ألدمة الى قوة وإقدام، عاش التشريد الفلسطيني الثالث، من لبنان الى الكويت .

رسم الحنظلة القصير، الصغير الحجم، يده خلف ظهره، بل عاش عميد مع محمد السعدي، يومياً وفي رحلاته إلى جبال البلد، عايش ناجي جبال الجليل التي عشقها، كما عشق فلسطين، "الحنظلة" المشرد، ابن المشردين، رسم حلماً طائراً عائداً الى الجليل.

الموساد الإسرائيلي، لم يعجز عن تشريده من الكويت إلى لندن، وحيداً ثلاثي التشريد والتهجير، ناجي العلي عرف بذكائه، انه القربان التالي .

اغتيال حاقده ومسعود في لندن، حيث ولدت دولة الحراسة والأمن، وبرعاية انجليزية، حيث أعلنوا انتصارهم على الفنان ناجي العلي.

إستشهد وحيدا غريبا في الشارع، حيث اسند
جسده النحيل الى اقرب شجرة، تكلل بغصن التين
الجليلي كما المسيح، الذي تكلل بغصن الزيتون
الجليلي، ناجي العلي لم يطور طائرات الشبح، ولم
يمتلك ترسانة نووية، ولم يحلم بها قط.

التهجير الفلسطيني الرابع

في حرب الخليج، حين غطت البوارج وحاملات الطائرات، مياه الخليج بالكامل، الأساطيل العملاقة الأحدث الأكثر افتراسا لشعب مدني اعزل.

خمسمائة ألف نسمة الفلسطينيين، مائة وعشرون ألف سيارة خاصة، علقت على الحدود الكويتية، عجت بالاجداد والجدات، الابناء والاحفاد بهجة الحياة.

لم يعرفوا لماذا هم عالقون بين الجيوش العملاقة، لم يستوعبوا اي طائرات سوف تقصفهم؟! لكنهم سمعوا عن طائرات الشبح الخفية، ربما تدقق الامتعة باحثه عن مسدس؟!!

تدقيق الوجوه، الناجين بالارواح من مذابح الجيش، انجلترا العظمى والاحتلال الاسرائيلي، في الوجوه فواجع والام حياة اللاجئين؟!!

فواجع النكبة الكبرى؟! في يافا؟! حيفا؟! عكا، الناصرة، الجليل، اللد والرملة، ابناء القرى المجتئين عن وجه الارض، في تهجير الشعب الفلسطيني الاول.

الناجين بارواحهم الى الحياة، في حزيران ٦٧.
في الوجوه الام الحدود العسكرية المغلقة الى الابد،
واللاعودة واللازيارة الابديتين لبلادهم هم في التهجير
الثاني.

في وجوه كل الابناء والاحفاد، فواجع الناجين من
مجازر مخيمات صبرا، شاتيلا، عين الحلوة، مجازر
النساء والاطفال، حين لم يتمكن الجيش الاسرائيلي من
الرجال، رجال المقاومة بل انسحبوا مهزومين.

في التهجير الثالث، هؤلاء هم الناجون بارواحهم
من المذابح، من لبنان الى الكويت، هم بذاتهم كانوا في
انتظار المصير يومان كاملان، اي الجيوش العملاقة
سوف تقصفهم؟ لماذا نحن؟ لماذا نحن؟!

وقف جد صارخا في كل فضاء، أبيدونا الآن،
اقصفونا بالطائرات بالقنابل الثقيلة الآن، نحن
الفلسطينيون المطلوبون للإبادة.

أنا اسمي اينشتاين الفلسطيني، صانع القنابل
النووية لإبادة البشرية والانسانية من على وجه
الارض.

لماذا هذا العذاب لنا لصغارنا نحن بانتظار الموت منذ يومين في هذه الصحاري القاحلة في هذا الصيف اللاهب، هو الاقرب الى جهنم، فلذات اكبادنا تعيش الفاجعة في كل ثانية، اقتلونا الان القوا بجثتنا الى ضباع الصحاري.

انطلقت صواريخ كروز باتجاه الاجداد، الاباء، فلذات الاكباد باتجاه ركب السيارات، حملتها واقت بها اسرة اسرة الى اصقاع الارض، الى الظلام الدامس، الى المجهول.

اما عميد الشهابي لم يسقط سهواً، بل قفز من على الصاروخ، وبالتحديد إلى فلسطين، الى "أبو العز"، مشتاقاً إلى جدلها السياسي والثقافي في المقاهي، حول الاخبار اليومية والطرائف أيضاً.

العم أبو مازن "أحمد اسماعيل": "بيقولوا عني شيوعي"، القارئ الدائم للكتب والمجلات والمتابع لأحدث الإصدارات في اللغتين العربية والإنجليزية أيضاً، عاش مستفزاً دائماً الجالس من أعضاء حزب البعث، الذي كان في أوجه، والإخوان المسلمين،

وحزب التحرير، أبو مازن ذو حضور، مليء بالطرفة
وخفة الظل.

مشتاقاً لدفيء رجال الحارة وأولادها، البوابة
العالية والليوان والبيدر، لاهل الحارة الشهابيين.

في اليوم الأول للوصول كان حظر للتجول،
استمر أربعين يوماً، تخللها مذبحة الأقصى، التي
تكررت وما زالت كذلك.

خرج عميد من المنزل إلى "بوابة الحارة"، ما
من ساهر للحديث عن الطرائف، لم يُسمع عزف
"الشبابة النحاسية" من مروان الشهابي، ولا "الدلعونه"
من اولاد الحارة الشهابيين: سمير وحمد الله وأنور
ونهاد ومحمد، قلة قليلة من صمدوا في الحارة،
العجائز وطلاب المدارس فقط.

دخل عميد الى الليوان، وجده كالمقابر، "وين
أهل الحارة ايها البشر؟ أنا جاي مشتاق للدبكة
وللحياة"، لم يجبه أحد! ، لم يجد أحداً!

بحث عنهم في قوائم الاجتثاث العرقي
الفلسطيني، لم يجدهم مع المهجرين، ولا في قوائم

الشهداء ولا الاسرى، أين اختفى الأحبة؟ أين اختفى
محمد السعدي؟

مشى عميد باتجاه وسط البلد، باحثاً عن أصدقاء
عمر المراهقة، وصل بيت محمود الشهابي، العامر
بالابناء والبنات، وجده خواء، لم يسمع أغاني فريد
الأطرش، مشى باتجاه بيت تيسير الشهابي، عاشق
عبد الحليم حافظ، أمهر اللاعبين في كرة السلة
والطائرة أيضاً، ما سمع هتافات "أبو العز في الطبيعة
غصب عن الطبيعة"، البيت خواء الجميع في السبي
الى دول الملح، إلى الشارع الشمالي وإذا بعارف
الشهابي، الرجل المتمرد على كل تقليدي، ذات شعر
الراس الطويل وشعر اللحية أيضاً، طاولة الرسم على
الشارع يرسم فنا تشكيليا، كانت مصافحة حميمية،
جلس أمام البيت، احتضن عارف العود عازفا روائع
الموسيقار فريد الاطرش.

هرع عميد الى جبل الشيخ عيسى وحيداً، وكانت
وحدته أشد من القتل، ألم في الرأس وفي القلب، حزن
شديد، فقدان مئات الآلاف من الأحباء، بالكامل في
السبي والتشريد الى دول الملح!، "كيف اغتالوا

حارتنا؟! كيف اجتثوها؟! لماذا لم أَدافع عنها؟! لماذا لم أحمل سلاحاً؟!، لماذا اغتربت عنها وعن حارتنا وحيدة؟! تركتهما وحيدتان في مواجهة يومية مع الاحتلال الاسرائيلي، هل بإمكانني حمل السلاح؟!".

عميد الشهابي ولد وترعرع في قرية ابو العز، فلسطين المحبة والسلام، طفولة مليئة بالبهجة والفرح، كبر فيها مع شجر الزيتون، كما كل فلسطيني، كيف له أن يحمل سلاحاً، وقد كره قتل الغيلان وصوت "خرطوش البلدية"، وحقنَ الممرض.

إن يخاف ركوب الطائرات المدنية، فكما حلقت الطائرة التي ركبها، حتى أصبح الشغل الشاغل للمضيفين وللطيّار، الخوف يتحوّل إلى غيبوبة، ليجد فيها طياراً حربياً اسرائيلياً الى حزيران ٦٧، في سماء ابو العز قاصفا مغارة سليمان الشهابي، يكرّر القصف عند كل هروب من مغارة إلى أخرى، وحين تهبط به الطائرة المدنية يصحو من غيبوبته، هو لم يخلق لحمل السلاح، فكيف يقاوم من اجتث الحارة؟ كيف يقاوم الاساطيل الامريكية العملاقة؟

حين هام عميد باحثاً عن صديقه محمد السعدي،
عن بطله الصامد الصغير، في مواجهة الاحتلال
الاسرائيلي بكامل عتاده وحيدا، لا أسرة، لا أصدقاء،
لا جِدَّة.

زار بيته ووجده خواء، والريح صفقت الباب
والشبابيك أيضا، ولا الحمامة في الزريبة، صرخ
عميد في الكون الوحشي المفترس، أجابته صفحات
ودبابات اسرائيلية، وهدرت معرودة في البلد.

في جلسة امام البوابة العالية، عجوز الحارة
الشهابي حدث عميد أنهم وجدوه على "الحاووز"
متوسداً حجراً، أما وجه الجثة فكان نحو الشرق، ويده
خلف ظهره، ممسكا بعصاه الصغيرة. شارك في
جنازته بضعة رجال فقط. فقر الدم أصبح "لوكيميا"،
الوحدة اصبحت إكتئاباً، الفقر لا علاج لشعب يرزح
تحت الاحتلال، لا علاج للفقراء.

في التشريد، وقع الخبر على والديه كما
الصواعق، لا بل كلهيب تنين عملاق، بكاء أمه
المرير:

"ليش أنا ما جبثوا من الخله، لو مسكتوا بإيدي،
وجريته جر، أنا دشرته للموت، أنا دشرته للموت."

لطمت وجهها، "بدي أنزل ع البلد هسة."

الزوج والأخوات، احتضنوها بالبكاء المرير.

أبو محمد: "استغفري الله، هذا القدر، كم مرة
حاولنا نزوره، في كل شهر قدمنا طلب تصريح، ثمن
سنين واحنا نحاول".

اشتعلت المرارة في القلب: "بدي أشوفه، بدي
انزل قبل ما يدفنوه، بدي أنا أحمله، وأسبعه بيدي،
بدي أنا أسبل عيني، بدي أنا أحنيه، يا رب إسخط
اليهود، الله يا رب، توخذهم وتوخذ دولتهم، يا رب
زلزال، من عندك يا الله، يبلع تل أبيب واللي فيها".

دعوة أم ممنوعة تشوف ابنها، وهو طيب
ممنوع، وهو ميت ممنوع!؟

زار أضرحة الشهداء في مقابر البلد، وجدها ذات
هيبة، بما استحقه الشهداء، من إجلال وتكريم، بعضها
مبني بالحجر، والآخر مبني بالرخام، هذا هو الوفاء

الفلسطيني في الداخل وفي الشتات، أسماء الشهداء،
تاريخ الاستشهاد.

قرأ الاسماء باحثاً عن ضريح محمد السعدي، فلم
يجده، مشى باتجاه المقبرة الشمالية، المطة على
"التل" الجنة، "قرأ الفاتحة"، قرأ الأسماء كلها، باحثاً
عن ضريح السعدي، فلم يجده.

وجد خمسة قبور لم تكن مبنية، أحاطت بها
حجارة، لم تكتب عليها الأسماء، سأل جاراً عن قبر
محمد السعدي، قال إنه القبر الأول.

جلس على الارض، لامس التراب، الذي احتضن
حبيبه وبطله السعدي، في المقبرة الشمالية، "حيث كان
البدء". حقا، هذا التراب خصب بالأبطال وبالحنان
أيضاً.

حدث بطله: "أنا لم أكن وفيّاً لك، أنا لا استحق
صداقتك، لماذا لم أحتضنك، قبل التراب، أيها الحبيب
الصامد؟".

أتذكر حكاية "نص نصيص"، حين اجتمعت كل
الغيلان، هدّدن "نص نصيص"، "والله إلا أخلي الجبال
السود تسمع قرط عظامك؟".

تلك الجبال ليست خرافة بل حقيقية، رأيتها بأمر
عيني، في صحاري دول الملح القاحلة.

استشهادك في عمر النرجس كان أول الصدمات،
أيها البطل، وما كان آخرها بالتأكيد، ما خفف كربني
أني عشتك يومياً في رسوم "الكاريكاتير"، "حنظلة"
لناجي العلي، ذات الطرفة وذات الشعر وذات البطولة.

حدثه عن رحلة التشريد: "إنها رحلة اللاعودة
الى دول الملح، إنه سبي الرواتب المرتفعة، ارتدينا
ملابس "عروس التركمان"، تربصت بنا ضباع
الشرق، ابتلعت أبناءنا وأحباءنا، وكل ما امتلكننا من
مال ملحي، في أوطان ملحيّة بديلة، كلما اشتقت إليك
رأيتك رسماً في حنظله، الرائع المليء بالحياة، بذات
الشعر وذات الفقر، وعصاه الصغيرة، التي حملها
ناجي ليرسم بها في الشتات. لولاكما أيها الفقيرين، ما
صحوت من سبات السبي، ولما عدت الى الوطن، لم
أستوعب كلمات "ستك هذ السعدي"، في اليوم الثامن

من حزيران ١٩٦٧، الأم الكبرى "هند السعدي"
"عشتار الخله"، حين قالت: "طبوعة شرقة بتوكلهم".

ذاك الطير الأزرق

زار عميد ضريح الشهيد ضياء الشهابي، في مقبرة البلد، حدثه عن زيارته للناصره، لحضور حفل تأبين الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود. كان برفقة والده الأديب، أديب الشهابي، الذي أبدع عدداً من دواوين الشعر والروايات، وأستاذه الشاعر طارق الشهابي الذي غنى لهم في كل حصة عروض.

مدينة الناصرة استقبلتهم باحتضان وترحاب مفعمتان بالكرم والأصالة.

زاروا ضريح الشاعر عبد الرحيم محمود الذي استشهد في معركة الشجرة عام ١٩٤٧ والذي أوفى بوعده حين قال:

سأحمل روعي على راحتني

وألقي بها في مهاوي الردى

فإما حياة تسر الصديق

وإما ممات يغيب العدى

الشاب ضياء المفعم بالسلام، الحاد الذكاء، دائم
البسمة، قتله إرهاب اقتحامات الجيش الإسرائيلي،
أثناء الانتفاضة الأولى، ليلاً، فجراً، ظهراً.

حشدوا مصفحات، سيارات عسكرية، بحثاً عن
طفل أو مراهق في مسكنه .

اسمع يا ضياء، يا طير الحب الأزرق، هذا
المقطع من الملحمة الشعرية التي كتبها أباك هدية لك:

طير من ماس أزرق

من تحت الصخر المغلق

يأتيني كل صباح

ينقر شباكي، يتوسط حضرة بيتي

ويرنم أغنية

يغمرني بالعطر الفواح.

من روائع شكسبير مسرحية تاجر البندقية

الشخصيات:

دوق البندقية: "القاضي".

"انطونيو": تاجر البندقية.

"شايлок": اليهودي الغني، المرابي.

"أنطونيو" التاجر النبيل الذي اقترض ثلاثة آلاف
دوق من المرابي اليهودي "شايлок".

وعلى سبيل المزاح، وَقَعَ أنطونيو صك الدين
المشروط بـ "عند استحقاق المبلغ، يحق "شايлок"
قطع أوقية من لحم "أنطونيو اذا لم يسدّد الدين".

شاءت الاقدار، غرقت السفينة التي امتلكها
"أنطونيو"، وعند استحقاق المبلغ، تقدم "شايлок"
بشكوى الى محكمة البندقية. تدخل نبلاء البندقية في
مفاوضات مع شايлок دفعوا له اضعاف مبلغ الدين

راجينه سحب الشكوى، رفض شايлок بازدرء لهم
ولعروضهم.

في قاعة المحكمة المليئة بالحضور، قال القاضي
"لشايлок":

الناس يظنون، وأنا أظن كذلك، أنك تنوي المضي
في خبتك حتى آخر لحظة، حيث أنك تطلب الان تنفيذ
العقوبه وانتزاع أوقية لحم من قلب "أنطونيو"، الذي
مني بخسائر مالية مهولة، الخسائر التي انتزعت
العطف من صدور نحاسية الصلابة، ومن قلوب
صوانية خشنة، ألا تتخلى عن هذه العقوبه؟! ألا تتوقف
عن شحذ هذا السكين على حذائك؟!

"شايлок": لقد أعلمت سماحتكم بغرضي، وإني
أقسمت بسببتنا المقدس، أن آخذ حقي ومستحقي، أوقية
لحم من قلب "أنطونيو"، من هذا المسيحي الكافر الذي
اقرض الناس قروضا دون ربا تسببت لي في خسائر
فادحة من ارباح بل افترس رزقي، مزاجنا وعواطفنا
سيده أفعالنا، تودي بنا الى ما نحب أو ما نكره.

لذلك ليس هناك من سبب سوى كراهية عميقة
الجدور، وبُغض ثابت، أكنه "لأنطونيو".

"شايلوك يشخذ السكين على حذاءه".

"أنطونيو": أرجوك يا سيادة القاضي تذكر أنك
تناقش "شايلوك"، اذهب الى الشاطئ، فاوض أضخم
الفيضانات، أن يُخَفِّض إرتفاعه، هل سيلين ويقتنع؟

فاوض الذئب، لماذا أبكى النعجة في حَمَلِها؟ هل
سَيَلِينُ الذئب ويقتنع؟ أتفاوض ما هو أقسى؟ إنه قلب
"شايلوك"!

لا مفاوضات مع شايلوك، لا تخوضوا مفاوضات
الى الابد.

هذا ما قرأه عميد للتراب الذي احتضن محمد
السعدي، محاولاً البحث عن إجابة لسؤاله البسيط
،"ليش اليهود هيك؟"

شكسبير كاتب الروائع الانسانية، لم يكتب ولم
يجد إجابة. كيف لي أن أجيب؟ اعذرني أيها الحبيب!

مقهى
الواق واق
مدينة بيت لحم

"من دول الملح"

أسرى سجن العزبة شاهدوا باهتمام فضائية من دول الملح، التي استقطبت عتاولة الإعلاميين العرب وكبار اللحي. بثت سقوط المقاومين فقط، بثت المجازر والمحارق للشرطة الفلسطينية، حاضرةً قبل وأثناء أول صاروخ، حتى إتمام حرق جثث الأحياء.

بثت كل مراسم الجنازات الجماعية والفردية، لأبطالنا الأبطال، فتحوا أبواب ثلاثات الموتى في كل مستشفى في فلسطين، جثث الأمهات الأخوات، فلذات أكبادنا الرضع، بثت سقوط الحطة ودفنها فقط، سقوط المباني تحت الركام فقط، بثت محارق الفسفور الأبيض فينا ولنا.

تابعوا ذلك البث في الليل وفي النهار، فكان هو الإدمان، آلام أرضيه، آلام فضائيه، جعل الأسرى يعيشون الهذيان والإحباط .. وفقدان الأمل والحلم معاً.

استضافت ردّاحي الفضائيات، في كل ساعة وفي كل يوم، وإذا بالمقاومة الفلسطينية دون أخلاق.

شعرت بانفجارات في أعصاب الرأس، تطور إلى اشتباك في السؤال، ما عدت أعرف المسار ولا الهدف، وإذا به مرض الاكتئاب.

فضائية الانقسام أصابت شعب المقاومة بمرض الانقسام والانقسام معا، استشفاء دقتت في بث المحطة، باحثا عن إجابات للسؤال.

كيف لفضائية.. أن تنال من إرادتنا؟ ..من وحدتنا؟! ومن أخلاقنا؟! كيف حَققت ما لم تحققه إسرائيل منذ قيامها، بترسانتها العسكرية والإعلامية؟ سمحت لنفسي بهذه "الشطحة".

زار فريق الفضائيات سراً، دولة من ملح، أصحاب السمو وأصحاب المعالي رحبوا بالضيوف في احتفال بهيج .

قال صاحب السمو: أنتم ضيوف لنا، حلت علينا البركة، ثلاثة أيام وثلاث ... في اليوم الرابع نسمع طلبكم.

دُبحت الخراف ودُبحت الجمال، سألت الدماء
عند إقدام الضيوف، أقاموا الولائم الباذخه المترفه.

قدم أصحاب السمو و أصحاب المعالي هدايا
من لؤلؤ وماس، برقت لها عيون الفريق.

في اليوم الرابع، زاروا قصر صاحب السمو.

الذي قال: ... "حنا البدوان، نفتخر بإكرام
الضيف، الهديه ما هو بئمنها ... الهديه بمعناها، شنهو
العشرة مليون .. خرطي .. ماتسوا .. المال .. وسخ
الدنيا، هلا بيكم إشربوا القهوه."

ابتسم كبيرهم، طويل القامة، اوروبي الملامح،
الذي استمع جالسا، واضعا رجلا فوق رجل.

قال: أنا اسمي "طوبال بن شايلوك" ... جنناك
بطلب بسيط ولا نشرب القهوه ... قبل موافقة سموكم.

سُرَّ صاحب السمو، بل ضحك بملء فيه، تبعه
أصحاب المعالي بذات السرور.

الامير: "شنهو، هذه عادات البدوان، إيش
دراكم فيها، إشربوا القهوه، طلبكم من هالخشم."

طوبال: نريد فضاءً.

الأمير: "ويش ذه الفضا .. ياخوك؟! إيه بالله
عرفت، ناخذكم البر حق القنيص، أمر من هالخشم،
والله وناسه تشوف الصقر الجارح وقنص الطير."

صاحب المعالي: يا صاحب السمو، "طوبال" ما
يقنص الطير، يقنص الأنس، أنت قلت: "على
هالخشم، ما يصير تفشلنا جدام العربان."

طوبال "بابتسامته الصفراء": "أيدي في حزامك
أيها الامير."

صاحب المعالي: "عطهم فضا .. ديرتنا تغرق
بالخير، جابو صقر جارح هلا، جابوا نسر جارح
هلا، جابوا شبح طائر .. ميه هلا."

صاحب السمو: قنص الأنس؟! خليني أفكر.

"طوبال بن شايلوك"، أمسك بكأس من الماء
وقال: "مابنيناك من ملح حتى تفكر."

ذاب السمو الملحي، واختفى الامير في ثوان.

صاحب المعالي الملحي قال: "يوبا الديره
ديرتكم .. الفضاء فضاؤكم .. وعلى هالخشم."

"طوبال" قال بعنف: غداً .. نجتمع .. وغادر
القصر.

في اليوم التالي، اجتمع "طوبال" مع صاحب
المعالي في أكبر قاعدة عسكريه أبدية البناء، ولم تكن
من ملح، في إجتماع مغلق.

"طوبال": أهلاً يا صاحب السمو، هذه الزياره
سريه، سريه جداً.

السمو الجديد: أكيد ... أكيد.

"طوبال": زكاء منك أنك حافظت، على
مكتسبات عائلتك.

الأمير: أشكرك يا "طوبال".

"طوبال": من الواضح أنك مسلم، وأنتك موحد
بالله منذ أبينا ابراهيم"

السمو الجديد: "أفأ، حنا البدوان مؤمنين
مسلمين بالفطره بسيدنا إبراهيم أول الأنبياء، وأن

سيدنا محمد خاتم الأنبياء، ونحترم ونحب كل
الأنبياء."

"طوبال": هل قرأت عن أبينا يعقوب في
القرآن؟ بسم الله الرحمن الرحيم "يابني إسرائيل
ادخلوا الأرض المقدسه"..... صدق الله العظيم.

الأمير: والله يا طوبال تحفظ القرآن أكثر مني.

"طوبال": الأرض المقدسة، أبونا يعقوب
أسمها أرض الميعاد، وهي كل ما أسميته موه بلاد
الشام، والجزيره العربيه وايران والعراق ومصر
وتركيا.

الرب في السماء، منحها لأبينا يعقوب، ولشعب
إسرائيل النبي المقدس لنا ولكم.

ذهل الأمير الجديد لما سمع، ومن ثم قال: يا
"طوبال"، أنا أسمع هذه الأرض حق العرب.

غَضِبَ "طوبال" ورفع كأساً من ماء،
وصرخ:

أبار النفط إرث لنا، من أبينا يعقوب، وأنتم من
سطى عليها بحد السيف، بنينا هذه القاعده العسكرية
الأبدية في أرض الميعاد، ألم تقل الديره ديرتكم؟!
والفضاء فضاؤكم، ألم تعترف بأنها لإسرائيل، ألم تقل
على "هالخشتم".

الأمير: أيه قلت.

"طوبال": سندفع رواتبكم كما هي، كن حارساً
أميناً، على نفطنا وأرضنا المقدسه، وشكراً على
الزياره.

بنى أحفاد "شايلوك" أضخم قناة فضائية في
الشرق، ملاصقه لأكبر قاعدة عسكرية في الشرق،
فضاءً فسيحاً لعشرات الآلاف من طيور الشبح، التي
طعنت بغداد من الظهر.

القناة بثت أخبار إسرائيل، في كل ثانيه،
اخترقت فضاءات العرب بذات اللغه، اخترقت
فضاءات الإسلام بذات اللحي، طعنت وحدتنا الوطنيه
في الظهر، التي ما تمكنوا منها وجهاً لوجه.

السعدي بطولكرم

جليسا دائما في مقهى الواق واق، أصدقاؤه في طولكرم أسموه "المارد يوسف"، عام ٦٧ كان في العشرين من عمره، طويل القامة قوي البنية ذا قلب محب للحياة والمرح.

الأطفال المراهقون، كلما مرّوا بجانبه، نظروا إلى الأعلى، وتمنوا أن يكبروا بسرعة وليصبحوا بطوله ويملكوا بشاشة وجهه.

خلال عامين احتلاليين، وكما كل إنسان حر، قاد المارد يوسف المظاهرات السلمية في مواجهة الجيش الإسرائيلي، المدرب بامتياز لإبادة العماليق، حتى يركع العالم لإسرائيل.

يوسف ذو الجبهة المرفوعة دائما، ما حمل سلاحا قط، وما كان في طولكرم أي سلاح .

واجهته المصفحات الإسرائيلية، والجيبات العسكرية، التي أطلقت الرصاص الحي والغاز الخانق والمسيل للدموع.

المتظاهرون رشقوا الحجارة، وما تعفن من
بندوره..وخضار، في "حسبة" طولكرم القريبة من
مبنى البلدية، المارد يوسف ما اكرث برصاصهم،
كان يقترب من جيب حرس الحدود، المغلقه أبوابه
بإحكام، حتى استطاع خلع الباب.

المارد يوسف اقترب من الجنود، دفع الضابط
المدجج بالسلاح.

تسارع رشق الحجارة من كل اتجاه، الثجار
أغلقوا متاجرهم ، وانضموا للتظاهرة، تابعوا رشق
الحجارة.

كلما قاد مظاهرة أنشد:

"بلادي بلادي بلادي .. لك حبي وفؤادي

بلادي يا أرضي.. يا أرض الجدود"

بذات اللحظة خرجت جماهير سوريا ولبنان
بأكملها، وبذات النبض، خرج المصريون عن بكرة
أبيهم، فنحن كنا ومازلنا أبناء الحركة الناصرية،
القوميون العرب، وأحزاب اليسار، القوميون
السوريون.

المارد يوسف قاد مظاهرات مناشدا الرئيس
جمال عبد الناصر بالوحدة العربية.

عند سماع خطاب "التنحي" للرئيس جمال عبد
الناصر، قاد جنازة الحزن الاعمق في الحياة، حاملاً
"نعشا رمزياً" لوداع "البطل الأسطوري" جمال عبد
الناصر، بسليلُ الفراعنة العظماء.

هكذا تفاعل الشارع الفلسطيني في كل مدينة
وقرية، وعند كل مناسبة وطنية.

روى لي أصدقاء المارد يوسف، المليء
بالحياة، عندما شعر برغبة جامحة، للسباحة في
البحر.

ركب تكسياً من طولكرم إلى قرية "أم خالد"
الشاطئية، "أم خالد" إحدى القرى التي تم إبادتها عام
١٩٤٨، بنوا في ذات الموقع "نتانيا"، فأصبح سكانها
صهيونيين.

حين وصل الشاطئ، ألقى بنفسه مثل حوتٍ في
بحر أم خالد، فهذا البحر له ويخصه، بالرغم من
وجود المئات من الإسرائيليين المدججين بنظرات

الحقد والكراهية على ذات الشاطئ، غاص في
الأعماق مداعبا أمواجاً من السمك.

حين خرج من البحر، أطلق الاسرائيليون
المئات من نظرات التقزز، حملوا كراسي البحر
خاصتهم، ورحلوا بعيداً عن المارد يوسف، الذي
استلقى على الرمال للاستجمام على رمال أم خالد،
أمتع ما في الحياة.

اقترب نحوه ثلاثة رجال، من اكبر "زعران"
نتانيا، حمل كل منهم مسدساً على وسطه، صرخ كبير
الزعران بلغة عربية، بألفاظ وشتائم بذيئة جداً،
يستحيل كتابتها، كبير الزعران: "فلسطيني اطلع من
هون"، المارد يوسف تابع استلقاءه، "عربي
حقير.. امشي بره"

وقف المارد يوسف، لكم كبيرهم في الوجه،
أمسك به الزعران الثلاثة.

صرخ الكبير: " إنت مسلم، هذا عشان
محمد؟"، مؤشراً بيده قاصداً سيدنا محمد.

المارد يوسف ضرب كبيرهم والآخرين حتى
ألقى بهم أرضاً، انضم إلى الزعران حُرَّاس الشاطئ
المسلحين، لم يجرؤ أحد على الاقتراب منه، اتصل
الحراس بالشرطة، "يوجد عندي عربي على
الشاطئ".

العديد من سيارات الشرطة، وحرس
الحدود.. هرعت إلى الشاطئ حيث تم اعتقال المارد
يوسف، بتهمة الدخول إلى مكان "ممنوع دخول
العرب".

تابع صديق المارد يوسف :

"لما قدموه للمحكمة طلعوا له تهمة ضرب
الضابط، وسجنوه. أعطوه دواء اسمه trap أو
trepe، مش متذكرايش، وفي أدوية تانية بتأدي
للجنون، عشان لما خلص محكوميته، حين خرج من
سجن الزنازين الانفرادية، ماشي في سجن العزبة
بحكي مع حاله، وإنه في ضو بلحقه، حمل فرد مي،
وصار يلعب مع الأولاد."

"المارد يوسف مش لحاله ، اللي أعطوه أدوية جنون، العشرات من طولكرم، ومن مخيم طولكرم..ونور شمس، وكل القرى، لمئات الاسرى من سجن العزبة

صديق السعدي المارد يوسف، اختنق حزنا على المارد.. وقال:

"الناس الجارحة يا بطخوه من الطائرات يا بضيعوه بأدوية جنون، عشان نقول هاي أبطالنا ..حاملين فرد مي.. اليهود جننوا الانبياء ، ما بدهم يقدروا على يوسف!?"

المارد يوسف حين رأى الطائرات تقصف سجن العزبة امسك بلعبة الماء، قال صارخا غاضبا: يا F16، يا اباتشي، ابعدوا عن سماء حارتنا، روحوا العبوا بعيد.

هدايا اعيد الميلاد، العاب العم سام F16، يلقون بنا وبكم الى الموت.

اسمعي يا داوود، ان العاب الماء هي متع الحياة، اتعرف لعبة الحوت والاسماك؟! هيا نلعبها سوية على شاطيء قريتنا ام خالد.

قال فخورا بذاته: "انا الحاج مطلق، ذو اللهجة البدوية، بكالوريوس شريعة، ملتجئ من بدو الجنوب، اهل الكرم والجود، ودق الهون، الطيف عندنا، ثلاثة أيام وثلاث."

انتظر اليوم زيارة زوجتي، اللي وما زارتي بالامس. تابع شكواه الى حنا المقدسي:

"اشتقت للحرمة، صار لها شهرين ما زارتي، وجاه الله عليك هات سيجاره، بالامس زعلت منها، إتصلت فيها حلفت بالله، الا الزوجة الثانية، تكون في البيت، قبل ما تزورني، "بغضب" والثالثة والرابعة".

حنا "ذو اللكنة المقدسية"، نفر منه قائلاً:

"خلص طوشتني بها الحرمة ... كل يوم ، كل يوم، خلص، صرلك سنين، غير بدّل".

الحاج: "انت زعلت، عشان شرعكم، ما يسمح، الغيره يا حنا الغيره".

حنا: إحكي عن الصبايا، عن الزهور قي
الربيع، مش بتقول عن حالك شاعر، هات سمعني.

الحاج: ترى البدوي شاعر بالفطرة، وآخر
قصيدة كتبتها:

"لولا الحياء لهاجني استعباد

ولزرت قبرك والحبیب یزار"

حنا بغضب: زيارة المقابر! هذا هو الشعر
البدوي؟!!

حنا ضحك بملء فيه: "بس، بس، هادا شعرك
مسروق يا مطلقاً!! حاج وبتسرق شعر؟!!"

الحاج: "ايه بالله وحرمتي تشهد ... إنه
شعري."

حنا: "مسروق يا مطلقاً."

الحاج: "بغضب" أنا اسمي مطلق..مطلق.. ما
هو بمطلقاً."

"والله ما أنسى، فظلكم علي، يوم طلعتوني، من
زنازين العرب، ويشهد الله لولاكم، كان عظامي
راحت قرقشه، والاخ ابو مازن يشهد".

ما أنسى ابو جهاد، يوم وصلني الحدود،
اعطاني راديو صغير، قالي بترجع ع الارض
المحتلة، إنتظر الاوامر، ونفذت الاوامر، خلّيت
الراديو على ذاتي."

أدى التحية العسكرية لحنا المقدسي هاتفا:

"بطلنا نغني على البنات

بنغني للثورة والكشونات."

تابع الغناء، أثناء حلق اللحية، فرحا، يمازح

حنا:

"شوف الدقن الفورمايكا! كلها ساعة وتطل

الحرمة، مثل ما طل القمر، في السما."

حنا : "إرجعنا "مستخفا" انت متزوج جورجيننا

رزق؟!!"

ضحك حنا وغضب الحاج.

الحاج: "انا مطلق، شيخ العرب، يتزوج بنت العجرم، السنيورة اللي تغني، نانسي العجرمية."

حنا: "يا مطلاً، بكفي كذب..كذب..كذب.. شو انت مصنع كذب.. مصنع حكي دودودودودودوز."

الحاج: انا اسمي مطلق، مطلق، مش مطلاً.

غضب حنا وقال: stop للجنون، انت ابن هالعزبة اللي طورها الاحتلال لهذا السجن ولم تغادرها قط.

قال الحاج حزينا: "صدقت يا حنا، صدقت، انني من عائلة فقيرة، سكنت مغارة في الجنوب، مع والديّ واخوتي الاربعة ، اقتسمنا المغارة مناصفة، بستار من "الخيث"، مع عمي وزوجته وأبنائه الثلاثة، امتلكننا أغناماً عددها خمسين، كانت ترعانا ونحن كذلك.

حنا: في مدينتي القدس، عمل والدك ، "عتال صندوق"، قدم اليها فجرا، وعاد منها عصرا، طائرا إلى مغارته، كما النسر، حاملا طعاما للأفواه الجوعى، وأكمل يومه في، حلب ورعاية الاغنام.

حنا: بعد احتلال مدينتي القدس عام ٦٧، اباك
في كل يوم، مرهقا متعبا "مثلثاً" بحطته البيضاء،
ونام فور وصوله، سألته ام مطلق: إذا كان مريضا،
أجابها أنه تعب فقط.

حين بلغت الخامسة عشرة من العمر، مثل ابو
زيد الهلالي، زرت مدينة القدس دون علم أبيك،
لتكون مفاجئة سارة له.

مطلق: دخلت باب العامود، جلست عند أول
مقهى سعيدا فيما تراه، بعد ساعة رايت اباك حاملا
صندوق العتالة على الظهر. التقى الأب مجموعة من
جنود حرس الحدود، بكامل الاسلحة كعادتهم، ضربه
طرحوه أرضا.

الحاج: انا رايت البساطير على رقبة ابي
والوجه، بالاضافة الى كعب البنادق، هرعت لإنقاذ
أبي، ضربوني وطرحوني فوق أبي، حتى فقدنا
الوعي، وبذات البساطير.

قال أحد الجنود: "منظرك مش حضاري، ولا
رائحة "العتاله" ولا الصندوق، ناظرين اليهما بحقد

وبتقزز. "من تحت البساطير حلم الاب لابنه "اقتل
الفقر، بالجامعة بتصير شيخ عرب، وحلم المقاومين
مع ابي جهاد، ورعاية الاغنام".

حنا: ثقلت الاحلام وتناقضت الاحلام، من تحت
البساطير حملت اباك حملا على الاكتاف طائرا به
الى المغارة مقعدا طريح الفراش، حملت اثقال
مسؤوليات الحياة.

حنا: سمعت إشاعات بان سلاح البسطار،
طوره فُطاع الطرق على الحواجز، ليرفعه الجنود في
وجه كل من مر، سواء أكان طبيبا أو موظفا أو عاملاً
أو رئيس جامعة، مؤشراً "قف".

الرجل الأنيق

أما الرجل الأنيق جليس مقهى الواق واق، الذي
جاب حول دوار مدينة نابلس هاتفا بشموخ وعزيمة
للانتفاضة الأولى:

"PLO Israel No."

- "أبو عمار سير سير.. احنا معاك للتحرير."

- "يا رابين يا خنزير.. بدك ربط بالجنزير."

هارون: ما اسمك يا ولدي؟ اجبني ايها الشاب!

لا اجابة لهارون.

اثناء الانتفاضة الثانية، هتف:

- "ع القدس رايبين شهداء في الملايين."

- "وحدة وحدة وطنية فتح، وحماس، وشعبية."

هارون سال الرجل الانيق في ثاني ظهور له:

عرفني يا ابني من تكون؟ بالتأكيد انت من
عائلة كنعان؟ او من عائلة طوقان؟ المصري؟
الشكعة؟ النابلسي؟ جردانة؟ ما اسمك يا ولدي؟
لم يجب.

ما بعد انقلاب غزة، الرجل يقود عربة بيع
فارغة، يجوب حول الدوار مناديا:

"اليوم التنزيلات، الحق التنزيلات، الحمساوي
بشيكل، الفتحاوي بشيكل، كله بشيكل، طناجر
الانقلابات بس بشيكل، انقلابات الطناجر بشيكل."

يسال المارة: الا يوجد مبيض لطناجر النحاس
السوداء؟ الا يوجد مبيض لشحار الطناجر في هذا
البلد؟

يعتلي سطح العربة قائلا: من يشتري هذا
الشحار؟ الخمسة بشيكل.
ما من مشتر واحد.

بكى ثم انتصب في حدة، رفع يديه نحو السماء،
رف بها وإذا به، قد طار .. طار .. ربما طار فوق
عش الوقواق.

هارون: ايها الرجل، اهبط ضيفا ملائكيا على
بيتي الكائن على قمة جبل جرزيم، انا هارون
السامري ابو اسير الحرب "ميعاد موسى".

حنا ومطلق

هما في منتصف الستين عاما من العمر،
جليسان في مقهى الواق واق، في معتقل العزبة.

مطلق ملتحي يرتدي الدشداشة، اما حنا فيرتدي
البدلة.

مطلق "نو اللهجة البدوية، فخور بذاته": اما انا
الحاج مطلق، بكالوريوس شريعة، شيخ العرب، من
بدو الجنوب، اهل الكرم ودق الهون، الضيف عندنا
ثلاث ايام وثلاث، وجاه الله عليك يا حنا هات سيجارة.

حنا "نو اللهجة المقدسية": خذ السيجارة يا
مطلا، "يغني بصوت رخيم":

عش انت، اني مت بعدك واطل، الى ما
شئت عمرك.

مطلق "غاضبا": اشتقت للحرمة، صار لها
شهرين ما زارنتي، بالامس زعلت منها، اتصلت
معها، حلفتها بالله الا الزوجة الثانية، تكون في البيت
قبل لا تزوريني، والثالثة والرابعة.

حنا: انت طوشت دماغي في سيرة الحرمة،
كفى يا مطلاً، غير الموضوع.

الحاج "ضاحكا": انت زعلت عشان شرعكم ما
يسمح، انها الغيرة يا حنا المقدسي، انها الغيرة.

حنا "غاضبا": فكنا من سيرة الحرمة، احكي
عن الصبايا، عن الزهور، الم تقل انك شاعر، هات
اسمعي.

مطلق: ترى البدوي شاعر بالفطرة، واخر
قصيدة كتبتها:

لولا الحياء لهاجني استعباد ولزرت
قبرك والحبیب يزار

حنا "غاضبا": زيارة المقابر؟! حب الصبايا
صار بالمقابر!

"ضحك حنا": انتظر، ان هذا الشعر مسروق
يا مطلاً، حاج وبيسرق شعر.

مطلق "غاضبا": انا اسمي مطلق مطلق ما هو
بمطلاً، هذا شعري وحرمتي تشهد انه شعري.

مطلق يقف بانتظام، يا حنا، اسمع، سامع
صوت ابو عمار؟! وصوت ابو جهاد "انتحب" الله
يرحمكم، والله ما انسى فظلكم يوم طلعتوني من
زنازين العرب، ويشهد الله لولاكم كان عظامي راحت
قرقشة، والاخ ابو مازن يشهد.

حنا: انا لا اسمع، خذ سيجارة، مت انت اني
عشت بعدك.

مطلق: وما انسى ابو جهاد يوم وصلني
الحدود، اعطاني راديو صغير، قالي بترجع عالارض
المحتلة، انتظر الاوامر، نفذت الاوامر وخليت الراديو
على ذاني "أدى التحية العسكرية لحنا المقدسي
مغنيا": بطلنا نغني على البنات ... بنغني للثوار
والكلاشينات.

"مطلق يدخل الحمام"

حنا: عشيقتي، حبيبتي امام هذا الجدار.

"يخرج مطلق": حنا، تعال شوف الدقن
الفورمايكا الاملس، كلها ساعة وتطل الحرمة، مثل ما
طل القمر في السما.

حنا: اي نكد انت؟! الحرمة، حرمتك جورجينا
رزق.

"ضحك حنا وغضب مطلق"

مطلق: انا مطلق شيخ العرب، بإشارة مني
بتزوج السنيورة بنت العجرم، اللي تغني نانسي
العجرمية.

حنا: نانسي عجرم؟! انت ابن هذه العزبة ابا
عن جد، اللي طورها الاحتلال الاسرائيلي الى هذا
السجن، الذي تراه، وقد ولدنا اسرى مدى الحياة.

منعم الغوري

في مقهى الواق واق، منعم العملاق، قوي
البنية، عملاق اللحية الكثة، هو اخر النبلاء
الصامدون، وما زال على قيد الحياة، يمشي سريعا
رافعا يميناه الى الاعلى، بدا وكأنه في مظاهرة.

هتف منعم للجميع: البندوره ماتت ... الفاتحة
للبندوره، اقرأوا.

فجأة صرخ في وجه الحاج، الذي ارتعد خوفاً،
امسك برقبتة ورفع به بيده الى الاعلى.

اقرأ الفاتحة لثائر: جاي تقرا الفاتحة لشارون؟!
اقرأ للبندوره.

الحاج : أنا ما قرريت الفاتحة يا رجال، يا ناس
يا اولاد الحلال.

العملاق : أنا سمعتك، اقرأ للبندوره.

منعم إقترب من حنا، معك سجاير؟!!

سأله: إنت عندك غور؟!!

حنا: لأ والله، ياريت.

العملاق : هات سيجارة، بوديلك خمس بطيخات.

حنا ناوله سيجاره مناديا: الخمس بطيخات بسيجارة، عاد العملاق غاضباً نحو مطلق.

صدام ماله؟! اقرا الفاتحة لصدام، الاسعار بايد الله، والاعمار بايد الله.

لأ بدنا أربعمية، لأ بدنا اربعمية، الارواح بيد عزريين.

منعم: انا شايفك، انا شايفك في الحج، في مكة، ذبحتوا صدام، اضاحي يوم العيد.

مطلق: اقسم بالله، ما تحررت يوما من هذا المعتقل وما وصلت مكة ولست حاجا.

وقف منعم وقال: اخوي ثائر قتلوه بالرشاش ... اخوي ثائر طخوه، بدك فاتحة، روح على القبور، احسبها بدك خمسة آلاف فاتحة، خمس آلاف ثائر طخوهم، ولصدام .. وللبندوره ... طلبنا ٤٠٠، قالوا

١٥٠، طلبنا ٤٠٠، جابولي الدبابة ... الاعمار بيد الله

..

عزرايين، جاب كل المستوطنين ودبابات الجيش الاسرائيلي. حفر بير مي، ٨٠٠ متر ... بيرنا ظل ١٥٠متر، "عزرايين " قبض روح البير "الفاحة"، ماتت المي، قبض روح الغور، مات الغور، ماتت المي، الحقوا الجنازة، الحقوا المي، صلوا عليها، قبل الدفن، الاعمار بيد الله.

"العملاق منعم، عاد إلى عالم الانقسام، مرفوع الرأس.

حنا: ولدى السؤال عن، العملاق منعم، تبين أنه، سليل لعائلة نبلاء الثراء، سباقين تاريخياً لتعليم أبنائهم، الجامعات الاوروبية، العملاق منعم الغوري هو سليل أول فضاء كوني للزراعة، واول مدارس التعليم لتدجين الماشية للبشرية منذ عشرة الاف عام.

رحلة الصيد الوفير

العزبة الأصغر في فلسطين

خلف جدار العزبة، إصطفت مئات الدبابات الثقيلة، في مقدمة الأرتال دبابتان، الأولى قادها "أبراهام والثانية قادها " دراكيولا فاش " .

آلاف الجنود والضباط، طواقم الدبابات بالكامل، أنصتوا لأجهزه الاتصال، الحديثة التقنية، عن برنامج الرحلة وتعليماتها .

صوت ضابط قيادة الأركان يقول :

- ١- تدمير كل ما صادفكم بالطريق
- ٢- حرق وإبادة كل بشر او شجر، خاصة اولئك المختبئين، من حرب الطيران الإسرائيلي، والبوارج العسكرية، منذ عشرة أيام.

٣- لا أحياء .. لا أسرى

إنتعش أبراهام وطاقمه .. راقص عضلات جسده بالكامل: "حاضر سيدي" ثم غنى و "العلكة" في فمه .

لا أحياء لا أسرى ... هذا هذا ما أحب

"أنصتوا لصوت الحاخام"

كتابنا المقدس، شرائع التلمود، أمرتنا بإياديه
العماليق، وإياداة الاغيار، مسيحيون، مسلمون، عربي
، فلسطيني، ولا عصيان لأوامر الرب

١- لا تنسوا عرض السماء الى
الجنة ... إقتل إثنان في رصاصه واحدة ، أو
تكون سبباً لزوال اسرائيل ... إثنان في واحد،
النساء الحوامل.

إنتفض دراكيولافش نحو السماء، ثبتت القبعة
الصغيرة على رأسه، أتبعها بالعسكرية قائلاً :
"حاضر أبانا"

ابراهيم ودرأ أنشدا سوياً

لا أحياء لا أسرى

هذا هذا ما أحب

Tow in one

Tow in one

ردد النشيد الآلاف من طواقم الدبابات، فرحين
مستبشرين برحلة ملئية بالإثارة.

ردد النشيد، "ديفيد" طيار أل F16، المرافق
"لأبراهام" و "درا لافش، في رحلتهم.

ديفيد: حين ألقى قنابل الفسفور الأبيض احتفالاً،
بدلاً من الألعاب النارية.

تنطلق أرتال الدبابات، من كافة منافذ العزبة
التي لا تزيد مساحتها عن مساحة حي صغير من
أحياء تل أبيب، والأكثر ازدحاماً في العالم، بالامهات،
الآباء وفلذات الاكباد، المدنيين العزل، حيث ازدحام
المهجرين من التشريد الفلسطيني الأول.

العزبة الاصغر، هي الاكثر فقراً في العالم، بل
هم جوعى الحصار الأبدي، لم يمتلكوا طائرة في
إسماء، ولا دبابة واحدة على الارض، ولا حتى
رشاشاً ثقيلأ واحداً.

امتلكوا مائتا بندقية قديمة الطراز، المرخصة
إسرائيلياً، أي المصابة بالحوال في تصويبها، تلك

البنادق التي أبادها "ديفيد" . وأباد حاملها في اليوم الأول للمجازر والمحارق.

"أبراهام"، و "درا" وصلا اول حقل صغير خلال دقائق فقط، وقفا الى جانب دفيئة الزهور المدمره والمحترقه بالكامل والتي قصفها ديفيد منذ عدة أيام.

أبراهام :- ديفيد أكمل المهمة باتقان، لم يُبقي لنا ما نكمله.

رأى "درا" في أرض الدفيئة، ماسورة صغيرة، لم تصهر بعد، وزهوراً لم تحرق بعد، إنطلق نحوها، بالمركباه العملاقة، سحقها، ومن ثم عاد الى جانب أبراهام.

اقتربا من المنزل المجاور، المدجج بالرايات البيضاء، أسره بأكملها، يرفعون الأيدي، ارتجفت الأجساد والأرواح خوفاً من هذه المخلوقة العملاقة، صرخ أبراهام "جيب الهوية"،

خرج الأب، الذي بدى في منتصف الأربعين ، وابنه الصغير، الذي التجئ إلى صدره، هرباً من

قصف ديفيد، رفع اليدين والهوية، حتى السماء، ارتعد
خوفاً، كما فعل ابنه .

أبراهام أطلق عنان رشاشه نحو الاب، عشرون
رصاصه جعلته أشلاء

درا أطلق عنان رشاشه، نحو الصغير، ثلاث
رصاصات جعلته أشلاء لأشلاء .

ترجل أبراهام التقط أشلاء الهوية . ومن ثم قرأ
الاسم :

عطية السموني ٤٥ عاماً

احمد عطيه السموني ٤ سنوات

ومن ثم قال مازحاً : أنت بخيل يا "درا" ..
كان يجب أن تهديه أربعة رصاصات، بدلاً من ثلاثه.

عاد ابراهام، الى الدبابة حين سمع صوت
سياره الاسعاف القادمة من بعيد ،

أطلق عنان رشاشه الثقيل نحوها ... حتى
أصبحت نصفين .

هدرت المخلوقات العملاقة ببطئ، غير عابئة
برائحة الجثث واليتم الأبدي .

بحثوا في الحقل التالي، حقل "دار عبد ربه"
وجدوا صاحب الحقل الذي لم يقتل بعد،

ابراهيم اطلق عنان الرشاش، نحو الحبيب عبد
الله عبد ربه .

"درا" لم يكتف بما فعله أبراهام، بل إنطلق
"بالمركبا" أعلى الجثة، سحق الحبيب حتى امتزج
بقداسة ترابه، ومنذ فجر التاريخ .

زين الدين زيدان

عشرة أيام من القصف المتواصل، أثناء الليل،
وإثناء النهار، الطائرات العملاقة من السماء، الدبابات
العملاقة من الأرض ، السفن الحربية من البحر،
قضاها حسن الهليس والأسره حبيسي المنزل
الصغير، بل حبيسي مترين مربعين من المنزل فقط،
أمسك بيد ابنه أحمد البالغ من العمر أربعة عشرة عاماً
زوجته سامية احتضنت صغيرها عبد الجليل،
الذي إحتضن كرة القدم، مائتان وأربعون ساعة، دون
كلل، وبجانبها عبود البالغ من العمر، ثمان سنوات.

أنصت أبا أحمد لكل قذيفة وصاروخ، منتظراً
برعب الموت القادم من البر؟! من البحر؟! من
السماء؟! أم أحمد، عند كل قصف قريب، ثبتت كفاها،
على أذن، وعيون عبود، حتى لا يسمع، ولا يرى
المذابح والمحارق، ولا سحب الفسفور الابيض، من
ثم إستخدمت علاجها، بخاخ مرض الأزمة الذي
أصابها منذ سنوات .

أحمد الذي حلم بأن يصبح مهندساً بارعاً، بل متخصصاً في بناء الجسور الهوائية بالتحديد، ولا يراها اليهود، لإعادة كل المهجرين، إلى مدنهم و قراهم .

عبودة عبد الجليل، خفيف الظل، الحالم دائماً بلاعب كرة القدم زين الدين زيدان، الذي احتفظ بتسجيل، لكل المباريات الخاصة به، وما إنفك عبود عن "مماحكة" أحمد قائلاً :

بأن اللاعبين "أشهر " أشهر، من كل المهندسين .

زيدان، أقوى وأشطر، من كل المهندسين .

حينها رد عليه أحمد : قائلاً : إنت لو بتفهم، في القدم بتحكي، بتقول ألمانيا وبس .

إحتد عبود وقال :- زيدان جاب هدف من نص الملعب، هذا مش أقوى واحد في العالم كله، لو نزل لحاله على الملعب، بغلب ألمانيا كلها .

في اليوم الحادي عشر أعلنت الاذاعات، القنوات الفضائية، عن وقف لإطلاق النار، لبضع

ساعات، حتى يتمكن أهل العزبة، من شراء الخب،
والأدوية، والخضار.

استيقظ الخوف مجددا في نفس أبو أحمد، أحمد
وعبود، قفزا فرحاً، أحمد إنتعل حذائه الرياضي، أما
عبود فلم ينتعل حذاه، بل إنتعل صندلاً، خرجا كما
الحمام الزاجل، مثلما خرج، كل أهل "الحارة"، كباراً
وصغاراً .

عبود وصل، الملعب الترابي، مختالاً بالكرة
التي إمتلكها، تبعه احمد وكل أبناء الحارة

أبا أحمد، كتب قائمة المشتريات البسيطة،
أسرع الى دكان قريب، تجهيزاً للقصف اللاحق .

أم أحمد مشت الى بيت الجده، القريب جداً من
منزلها، والمحادي لمدرسة وكالة غوث اللاجئين،
حيث الملعب الترابي .

من هناك تابعت، الابناء، فرحة بفرحهم،
شاهدت عبود، الملقب "زيدان"، الذي راقص قلب
أمه، كلما راقص الكره، فخورة بمشروعها الصغير ،

"ديفيد" ، أطلق صاروخاً عملاقاً، من طائرتة
F16 الى أرض الملعب، الذي أحدث إنفجاراً مهول
الصوت، إهتزت له كل الشبائيك، والابواب في
العزبة الأصغر في فلسطين، تبعها زوبعة ضخمة من
النيران، تبعها زوبعة عملاقة من التراب الملتهب .

أم أحمد أصابها خوف شديد، قفزت من بيت
الجدة، نحو الزوابع النارية، المتتالية، وما اكرثت
بمرض الازمه .

أحمد زحف على التراب، إلى خارج الزوابع
النارية، بجسد أسود، ينزف دماً بغزارة،
تلقفته في القلب وفي الأحشاء، إلى بيت
الحاجة، من ثم عادت كما اللبوة .

أبا أحمد، عاد مسرعاً، اخترق الزوابع
المظلمة، باحثاً عن عبود الذي لم يخرج بعد، منادياً:
عبود...عبود...عبود ... عبود ...

في مركز الزوابع امتزج الندء آين ام أحمد و ابا
أحمد، إمتزج الألمين: عبود ... عبود.. عبود

أم أحمد صرخت صوتاً كونياً، من القلب،
انقضت لألامها، كل الزوابع النارية .

عبود النازف بغزاره، احتضنته في القلب،
أسرعت به الى سيارة الإسعاف المنتظرة، نادى
الحجة بصوت ناحب ومن ثم قالت :
في أربع أصابع ناقصات .

أبا أحمد حمل الإبن النازف أحمد، حلق به كما
النسر، باحثاً عن موطن قدم في مستشفيات العزبة
المكتظة بعشرات الآلاف من الجرحى، والأحباء
الشهداء .

الحاجة هرعته الى أرض الملعب الترابي
الملتهب، الى الحفرة العميقة التي أحدثها الصاروخ
العماق، باحثة عن أصابع عبود الصغيرة، إنضم
اليها الفريقين، واحداً وعشرون لاعباً صغيراً، من
أتراب زين الدين، اللذين ما زالوا في هلع وخوف،
من طائرة "ديفيد" العملاقة، والتي ما زالت تحلق فوق
الرؤوس الصغيرة، شكّل الأتراب دائرة حول

الحفرة، ساروا ببطئ شديد، باحثين عن الاصابع الصغيرة المفقودة .

طبيب سيارة الاسعاف عاين "عبود الصغير"،
ومن ثم قال للأم الملتاعة :

شظية إخرقت الجبهة الصغيرة، نفذت من
الرأس الصغيره

: شظية ثانية، مزقت العنق الصغير

: شظية ثالثة قطعت الأصابع الصغيرة المفقودة

: إن شاء الله، إنه ملاك في الجنة

علا نحيب القلب، صرخت في وجه الطبيب،
حنت السائق على السرعة، الذي انتحب لنحبيها .

: حرام عليك يا دكتور، هذا ابن الحياه، مش
ابن الموت، .. هذا زيدان المستقبل .

همست في اذن عبود :- عبود، عبود، يا قلب
قلبي، اوعى تموت، انت قوي، إنت اقوى واح ،
المستشفى قريب، قربنا . اوعى تموت .

حين وصلت مستشفى الشفاء، اكد لها الاطباء،
بان فلذه الكبد عبد الجليل، قد أصبح حبيباً .

أم احمد إنتحبت، نحيباً كونياً لحلمها الصغير .

إتسعت دائرة اللاعبين بعيون دامعة، وقلوب
صغيرة دامية، باحثين عن أصابع "عبود" المفقوده .

عندما أنهت الحاجة بحثها، داخل الحفره
العميقة، خرجت منها، بدأت "بطمرها" بالكفين، باحثة
عن الأصابع المفقودة

أنهى الأتراب بحثهم، في أكبر دائرة كونية،
انتحب الصغار، عادوا الى جانب الحاجة، ساعدوها،
حتى "طمرت الحفره بالكامل، الاتراب الصغار
احتضنوا الحاجة، قبلوا الرأس والأيدي، زرعوا في
ارض الملعب، أربعين شمعة كبيرة حتى لا تخاف
أصابع "عبود الصغيرة، من ظلمة الليل الحالك .

رسموا الحبيب الصغير، في القلوب، وعلى
الجدران، الى جانب اللاعب زين الدين زيدان .

ديفيد، دراكيولافش، أبراهام، لم يكتفوا بالحبيب
عبود، بل قتلوا ثلاثمائة وثمانية عشرة من أحياء عبود

حين وصل أبو أحمد المستشفى الفرنسي،
رأى وشاهد الإكتظاظ، وسمع النحيب والألام .

أسرع الاطباء، التقطوا أحمد، نزعوا الشظايا،
التي أخترقت رجله، أوقفوا النزف، عولج بالحقن،
وأدوية أخرى، إعتذر الاطباء لعدم وجود سرير
للنوم، حمل أبو أحمد المهندس الصغير، الحالم ببناء
جسر العودة، راجعا إلى بيته .

ما بعد إتمام المهمة ، عاد "أبراهام" و "درا"
وتبعتهم أرتال الدبابات العملاقة من أرض العزبة،
هبط "ديفيد" من السماء .

أنشد الجميع أغاني الانتصارات، زادوا فرحاً
حين إنتظرتهم الامهات والآباء، الزوجات والعشيقات
أيضاً.

أم "دراكيولافش " احتضنت بطلها، ومن ثم
سألته : هل عدت بكلية؟! أخال المريض بالانتظار

"درا" : بل عدت بعشره كلى، ما زالت ساخنة
وطازجة .

احتضنته الأم، فخورة بقذائف اليورانيوم
المخصب.

عشيقة أبراهام، احتضنت، عشيقها، قبلت كل
عضل مفتول، ومن ثم سألته :

هل عدت بقلب امرأة؟! ، أمي المريضة في
الانتظار.

بل عدت بعشرة جثث كاملة، لتختار أمك ما
تشاء، وما تبقى نحفظه في سراديب المجمدات
العملاقة.

أحد عشر حبيباً

ثلاث طائرات F16 العملاقة، أطلقت صواريخ ذات أوزان عملاقة، السنة النيران الساقطة من السماء، التقت بالأسنة النار المرتدة الى السماء، حيث يسكن ابناء العم والأصدقاء، ربما احترقوا في اليورانيوم المخصب.

أثناء حرب الاجتياحات للقري والقر والمدن، أغلقت الشوارع والطرق الزراعيه، الجرافات العملاقة والدبابات .. في المدن والقري، ومُنِع التجول أو القتل.

شاهد عميد الشهابي قصف الطائرات لمدينة طولكرم بثت المحطات الفضائيه، أن الشهداء والجرحى بلغ ستون صبياً وصديقاً، أصابني ذهول وحزن، فجر الدماء في الرأس والمعدة، هؤلاء أقاربي أصدقائي، أو الذين احتفظوا بحساب لدى البنك الذي عمل به.

قاد السياره الى الشمال بدلا من الغرب، وفي بدء الطريق وجد عميد حفرة عملاقة، ترجل، استخدم

ثلاثة أحجار كبيرة، لرصف طريق جديدة،.. الى الجبل الشامخ حاد الارتفاع، وجد منفذاً صخرياً، صعد من صخره الى اخرى، ببطء شديد، خلال ثلاثين دقيقة، وصل منتصف الجبل.

حلقت طائرة الأباتشي في سماء الجبل، عادت واقتربت من الجبل، لو حاول التوقف أو التراجع لانزلت السياره إلى موت صخري أكيد، تابع الصعود إلى موت شبه محتم، لم يتنفس الصعداء، فوجئ بدبابة عملاقة، أخفاها قطاع الطرق لدولة اسرائيل، اللذين اختفوا بداخلها، قاذف اليورانيوم إتجه نحو السيارة، توقف إلى يسار الممر، على بعد ٢٠ سم من هاوية سحيقة، حيث انتظر الموت، وبعد خمسة عشر دقيقة، صرخ مكبر الصوت:

- "إطفئ السيارة .. اسحب المفتاح". نفذ عميد الأوامر.

-انزل من السياره.

حاول النزول من الباب الامن.

صرخ المكبر: "لأ من اليسار".

وجد عميد موطىء نصف قدم.

المكبر: "إثلخ كل الملابس .. وجهك الى
الواد". .. نفذ الأوامر

المكبر: "لوين بتروخ؟؟"

عميد: إلى مدينة طولكرم.

المكبر: ممنوع هذه منطقة عسكريه، "في
موت".

عميد: أعرف في موت ... في قصف طيران.

المكبر: إرجع الى بيتك.

عميد: "أعمل مديرا ويجب الوصول".

المكبر: "وقد علا الصوت" "إمشي .. روح
للموت روح للموت". قالها مغناة.

تابع الصعود والبحث عن منافذ لمدة ثلاث
ساعات، بدلاً من خمس دقائق، حتى وصل طولكرم.

وجدها مدينة للأشباح، في سمائها طائرات
تقصف، أبواب المحلات التجاريه ممزقه،

بالرشاشات، والدبابات العملاقه مزقت سيارات الاسعاف بمسغفيها، والجرحى المستغيثين بالسماء.

عميد الشهابي وصل مقر البنك، اتصل هاتفياً بالتجار الاصدقاء، مستشفى طولكرم الحكومي حيث الشهداء والجرحى، أبلغ الجميع أن البنك في خدمتكم.

في اليوم الأول استشهد أحد عشر حبيباً، انتفض لهم أهالي المدينه والمخيمات والقرى، إنتفضوا على قطاع الطرق ومجرمي الحرب، هبوا من بيوتهم واتجهوا نحو المستشفى، حيث الأحباء، عشرات الاف هم الغاضبون، شاركوا في جنازه الجماعيه، آلام جماعيه هتاف جماعي اعتصر القلب، أحد عشر حبيباً هم أبناءٌ للأحبه، أحد عشر نعشاً، تلقفتها الأنامل الحنونه، اقترب من الصديق "أبو الأمجد"، رافعا نعش الابن عالياً.

قال لعميد: هكذا داعبت أمجد صغيراً، أرفعه، أدغدغه، يضحك بملء فيه، اليوم أرفعه عالياً، بذات الايادي، ولا أسمع صوته الضاحك.

سأل عميد : هل سمعت فهقهة من أمجد؟!!

بكي عميد بحرقه مع الحبيب أبي الأمجد،
حملا النعش سوياً، أحد عشر نعشاً رفعتها الأيادي،
رأها سرباً من طير.

انتفض الفلسطينيون في كل المدن، دون
اكتراث بالطائرات الاسرائيليه، بل بإزدراء لهم،
ولقدائفهم اليورانيم المخصب.

انتفض كل فلسطيني، على قطاع الطرق، فكلما
أغلقوا منفذاً، أوجدنا خمسة منافذ للوصول إلى
أعمالنا.

داوود الفارس

في تلك المرحلة، اجتاح عميد الشهابي العديد من الأسئلة المتداخلة، التي أشعلت نارا في اعصاب رأسه، وما زالت تعصر القلب.

عن جنازات الشهداء الجماعية؟! كيف للجيش الاسرائيلي، أن يقصف بالطائرات، لإبادة أحياء بكاملها؟! كيف لداوود الضابط الاسرائيلي، أن يقود دبابة "ماركباة"؟! ويطارد بها طفلا يحمل حجرا؟!!

فارس عوده، الذي بلغ بالأمس عشر سنوات، ابن الصديق الذي تناثر جسده الصغير، وقلبه الصغير الذي انتزع قلب عميد، في جنازته الرهيبة.

عميد: كيف لي ان اعزيك يا ابا فارس؟! هل هناك ما يقال؟!!

أحقا هذه أحداث القرن الواحد والعشرين؟! أم أنها الاساطير؟!!

أبو فارس، صرخت عيناه دمعا او جمرا، ما كان فيلما سينمائيا، لا لا، لم يكن فيلما أبدا، ها هو قلب فارس الصغير.

قال بشفتيه: لا تخافوا إنه فيلم، انها مجرد
حكاية من الخيال، لا تحزنوا، لا تدمعوا جميع
الشخصيات خرافيه.

عميد، منذ الزيارة الاولى، إلى جبل الشيخ
عيسى، لم تعد في مخيلته، تلك الغيلان والعفران.

ولكن هذا القتل الجماعي، حقيقي وليس خرافة.
أبو فارس المهندم النبيل، صعد الى مستويات عليا
من الهذيان، وما أن وصلوا المقبرة، حتى أصاب
عميد نفس الهذيان، صعد على جدار المقبرة الغربي،
المطل على جدار عزلهم وثم صرخ:

أيها المسكونين بالأساطير، بأخلاق العالم
الأسفل، متعة الأباداة والقتل.

اقترب عميد من أبي فارس وصرخ به، إنها
دبابة مركاباه حقيقية، إنها الأباشي التي أحرقت الابناء
والامهات وأحرقت الأكباد.

داوود لا يحمل حجرا، يقذف به العملاق،
داوود قاد دبابة قصفت بمدفعها، طفلا يحمل حجرا.

عاد عميد من الجنازة، وفي الرأس ألم السؤال،
عن القوانين والشرائع لدولة اسرائيل الصهيونية
العبرية؟

أعاد قراءة كتاب "اسرائيل شاحاك " الديانة
اليهودية، تاريخ اليهود" والذي قدمه د. ادوارد سعيد.

عن كتيب نشرته قيادة المنطقة الوسطى للجيش
الاسرائيلي في فلسطين المحتلة، كتب الكاهن الرئيسي
لهذه القيادة يقول:

"عندما تصادف قواتنا مدنيين خلال الحرب، او
أثناء عملية مطاردة، أو في غارة من الغارات، ما دام
هناك عدم يقين، حول ما اذا كان هؤلاء المدنيين غير
قادريين على ايداء قواتنا، فيمكن قتلهم بحسب
"الهالاخا" لا بل يجب قتلهم، إذ ينبغي عدم الثقة
بالعربي في أي ظرف من الظروف، حتى لو أعطى
انطباعا بأنه متمدن.

في الحرب يسمح لقواتنا، وهي تهاجم العدو،
بل أنها مأمورة، بقتل المدنيين الطيبين، "الذين يبدو
طيبين في الظاهر."

احتفالات الصيد الوفير

احتفالات الترسانة العسكرية العملاقة، الأحدث والأخطر في الشرق، مبدعو ومصنعو كافة أنواع المبيدات البشرية.

انتصروا على مواسير العزبة، التي حاولت القفز من على عازلهم .

قلدوا "ديفيد" ورفاقه أرفع الأوسمه، لتدميرهم ٢١٣٥ منزلاً، على رؤوس الأسر المختبئة التي لا حول لها ولا قوه.

قلدوا "درا كيولافش " ورفاقه، ارفع الأوسمة،
لأنهم :

قتلوا ١١١ "أمأ حاملاً"

أصابوا ١٦٠٠ "أم حامل" بجراح خطيرة.

أصابوا ٨٣٠ "أمأ" اشتبهوا بأنهنّ حوامل .

حين صفق الحضور، قال "درا" بخشوع:

"إنه طامح في الجنه، وليس بالاوسمة."

وقف الحضور ... مصففين مرة أخرى، ومن
ثم هتفوا " Tow In One "

قلدوا "أبراهام" والأرتال العملاقة، أرفع
الأوسمه لأنهم

قتلوا ٩٩٠ أباً و إبناً.

وأصابوا ١٨٧٠ أباً وإبناً، بجراح خطيرة.

والأهم انهم لم يعودوا بأسير واحد.

هتف الحضور : لا أحياء ... لا أسرى.

سنة أيام من الاحتفالات، وفي اليوم السابع
إحتفلت دبابات المركباه العملاقة على بعد بضعة
أمتار من عازلهم.

في اليوم السابع

احتفلت الطواقم المدججة بالأسلحة والستر الواقية في أرض "بيت حانون"، حيث انبعث مقاوموا الفينيقي من المحارق والمجازر، هاجموا واشتبكوا مع المخلوقات العملاقة والطواقم.

قُتل الرائد "بيرتس" و قُتل العريف أول "إيلان فتسكي"، وأصابوا جنديين آخرين، واستشهد "مقاوم واحد فقط ، ضموه إلى الصدور، ومن ثم عادوا إلى أنفاقهم السرية، وما قتلوا عبوداً واحداً، ما أصابوا امرأة حاملاً.

ربما كانت البشارة في الأفق البعيد، حتى زوال الرداحين من على وجه الأرض.

جبل المنظار

صراع الآلهة

ما قبل قبل الميلاد، خلال القرن الثامن، تعددت الآلهة والاختلاف على قدسيته، خلق جدلا حادا لدى كهنة المعابد في كامل سوريا الكبرى، تطور الى أستخفاف واستفزاز.

بادر الملك الكنعاني (أبي مالك) ، للاجتماع بالكهنة لآلهة الخصب الاولى، أهمهم عشتار وايل وبعل وعنات ويهوه إله الشمس.

خطب فيهم الملك قائلا: "من أجل حماية الشعب الكنعاني، علينا ان نحترم كل الآلهة، حتى لا يتحول الجدل من الفم الى السيف."

"اجتمعت بكم محذرا من المساس بقدسية أي من الآلهة، راغبا في الاستماع الى جدلكم، حتى نتفق، قال لكاهن معبد "عشتار": تفضل.

كاهن معبد عشتار: نرى عشتار أكثر قدسيه وعبادتها واجبه، لأنها آلهة الخصب الأولى، لأنها الانثى، أجمل المخلوقات، روح القمر وسحره، هو من بارك بطنها، في دورته الشهريه، لأنها الام في بطنها

بدء التكوين والولادة، ومن صدرها منحتنا الروح،
لأنها الارض وشجرة الحياه، لأنها العدالة في محبتها.

" عشتار " منحت "بعل" روح الخصب فوق
الغيوم ... ولكل ذكر على وجه الارض .

هي من أنجبت " عنات" لتكون روح العشق
الابدي.

قال كاهن "ايل ويهوه ":

أنظروا الى الغزلان ، من حولنا ، أنها أجمل
المخلوقات، الغزاله فاتنه رائعة الجمال، أكثر من أي
امراه.

أنظروا الى ذكر الغزال "أيل"، انه الأضخم،
ذو عضل مفتول، وهو الذكر القوي بفحولته، الذي
تمكن من معاشره الف الف غزاله، عشرها جميعا،
ولم تتمكن الغزاليه من معاشره الف الف ايل.

أنظروا كيف تمكن الرجل، من معاشره ألف
ألف امرأة، " عشرها " جميعا، ولم تتمكن المرأة من
معاشره ألف ألف رجل.

إن ماء الذكر هو الانجاب والتكون، واله الشمس "يهوه" هو خصب الأرض.

الملك ابي مالك نجح في تنظيم الجدل حول قدسية الالهه، وأعلن نص الاتفاق كما يلي:

ليكن "بعل" زوجاً ل "عنات"، وهما أرباب الأرض.

لتكن عشتار زوجة ل "أيل"، وليعتليا السماء أربابا لها.....

في الأعالي "ايل" نادى عشتار "ايلات": يا غزاة، تودداً لها وخوفاً من سلطانها.

نجح الاتفاق عشرات السنوات، ولكن سرأ ... دعى أتباع "ايل" إلى تمجيد معتقداتهم،

سرأ اقتحموا معابد "عشتار"، هدموا تمثال "الأم الولود"، وبنوا بدلاً منه تمثال "الذكر المقدس"، ليكون بيتاً لعبادة الاله "ايل".

شئوا حرباً دمويه، في كامل سوريا الكنعانيه،
بنوا بيوتاً للعبادة احدها "بيت ايل" بالقرب من رام
الله.

تلك الحرب الدمويه، رافقتها حرب تدمير
وإباده، لكل رمز خاص بآلهة الخصب الاولى.

امتد الصراع الى السماء، ما بين الإلهين،
"أيل" و"ايلات عشتار".

انتصر صاحب العضل المفتول، على صاحبه
الحكمة والسلام، وبدافع الانتقام من "ايلات"، القى بها
من السماء الى الارض، وبالتحديد إلى خليج البحر
الاحمر، فسُميَ الموقع باسمها خليج "ايلات".

"بيت ايل"، "ايلات عشتار".. الأرض،
التاريخ، الثقافة إرث حضاري لنا، نحن الكنعانيون
الأوائل.

بعد ستمائة عام من هذا التاريخ، بدأت ولادة
"العبرانيين"، في صحاري بلاد فارس، وبأعداد قليلة
جداً جداً، لا تتعدى بضع أسر.

النجاح

من على قمة جبل المنطار، في بيت "ضاهر
كنعاني، مريم الصايغ، كريم الصايغ، فاطمة كنعاني،
الجميع في انتظار مضطرب".

"يدخل سامي ابن الثامنة عشر عاما، يرتدي بدلة
أنيقة".

مريم: بشر يا سامي!؟

سامي: النجاح بمعدل ٨٥ بالمئة.

مريم: إبني سامي مبروك.

سامي: الفضل لك يا أمي، مريم الصايغ مديرة
للمدرسة، ومُعَلّمتي في البيت.

فاطمة: "زغرودة بأعلى صوت".

ضاهر: "يضع يده على فمها" آلام حزيران،
مازالت خيمة سوداء في قلب الوطن العربي.

"يحضن سامي" كم أنا فخور بك يا ولدي
مبروك.

د.كريم: ألف مبروك ،عليّ العودة إلى القدس،
مستشفى المقاصد بالإنظار.

سامي: خالي إنتبه! جيش الاحتلال منتشر في كل
شارع.

مريم: أخي كريم عد لنا سالمًا.

انتهى

الصعود إلى قمة جبل المنطار

من على قمة جبل المنطار، "أبو نواف" صاحب الغنم وراعيها، يقف على "المنطرة" يعزف لحناً مستخدماً الشبابة النحاسية".

فاطمة: من هنا؟ من على قمة جبل المنطار، ما الذي ترى؟

سامي: أرى فضاءاتٍ مفتوحة.

فاطمة: "تتابع" ومن على قمم الجبال، ما الذي تسمع؟

سامي: أسمع حفيف أشجار، أرى اكتظاظاً لشجر الزيتون الرومي، أرى سهولاً مزروعة باللون الأخضر.

"فاطمة تشير بيدها غرباً".

سامي: أرى ساحل البحر الأبيض المتوسط "الفينيقي"، أرى الوادي، المحاذي

للشارع الرئيسي

فاطمة: ألا تسمع أصوات أبطالنا؟ ما حدث قبل
ثلاثين عاماً، هيا أحدثك.

أبو نواف: مبروك يا سامي مبروك، مبروك، يا
فاطمة، يا جيران الأصالة.

سامي: "يصعد المنطرة" شكرا عمي أبو نواف،
الله يبارك فيك.

أبو نواف: هل ترى تلك القرية؟

سامي: لا أرى أي قرية، أرى معسكرات الجيش
فقط.

أبو نواف: هذه قرينتنا "سلمة".

سامي: إذن أنت من القوم العماليق.

انتهى

الأمين كنعاني

" تعود فاطمة، في الخامسة والعشرين من
العمر، تحمل سلة من القوص "

فاطمة: "تغني زغاريد النساء:

"أويها

يا خي الأمين يا شعري على ضهري

يا دارنا الواسعة يا برجنا العالي

إن ردت العرايس انزل على النهر

يا سمين الهوى ع الحيطان متدلي

لو لو لو لو لو لو لو لو لو لو لو لي".

"يدخل الأمين، في الثلاثين من العمر، يرتدي

بزة عسكرية، للمقاومة عام (١٩٣٦)"

الأمين: اخفضي صوتك، يا أروع أخواتي

والأكثر جراً.

فاطمة: لم أر جندياً انجليزياً ولا صهيونياً، هذا
الطعام لك، وللتوار في القمم.

الأمين: الثوار يرصدون قافلة عسكرية، إنطلقت
من ميناء مدينة يافا، متجهة
إلى مدينة نابلس.

فاطمة: أسمع صوت مجنزرات عسكرية، القافلة
تقترب.

أمين: قوافل الإحتلالين، الإنجليزي والصهيوني،
عودي إلى البيت الآن، أنت في خطر.
"أمين يهبط الجبل".

فاطمة: لن أعود حتى أشاهد، إنتصارات أخرى،
لثوار القمم، أسمع صوت
المجنزرات، تصدم صخور المنعطف الحاد
للشارع.

أنا أسمع صوت بنادق الثوار يعلو، فوق
صوت رشاشات الانجليز، حيث مروجا من

شقائق النعمان، أرى مجنزرات مرعبة تنفجر،
الجيش الصهيوني ينسحب مهزوماً.

صوت طائرة انجليزية، ما هذا الرعب في
السماء؟!!

"يعود أمين إلى القمة"

فاطمة: أراك نازفاً يا أمين؟!!

أمين: إنها إصابة في الرجل، إطمئني.

فاطمة: يا ثوار القمم، يا أبطال الانتصارات،
أمين قف وانظر جيش الفرسان العرب، قادمون سناً
لنا.

أمين: " يصرخ " يا ثوار القمم، أبشروا
بالانتصار.

فاطمة "تتغنى بفخر": عرب قبلي، اللي تغز
الرمح بالريشة قادمون.

"يتسلل فارس عربي من الخلف، يطلق
الرصاص على رجل أمين".

الأعرابي "فاطمة": لا تقتربي، الإنجليز قالوا لي أنا بصير أميركم، وأعطوني الأموال الكثيرة.

فاطمة: تبدو لي قادماً من عصر الجاهلية، هذا أمين، ثوار القمم، ثوار العرب الأحرار.

الأعرابي: كلنا بنصير أمراء، والقبيلة بتصير ملوك.

فاطمة: رائحتك نتنة أيها الأعرابي، إبعد عني.

فاطمة: أي أمراء أميين سوف تحكمننا؟! أي ملوك أميين؟! الأعراب الأشد غدراً، "تصرخ" يا ثوار القمم، الأعراب الأشد ظلماً، أصابوا رجل أمين الثانية، لم تنقرض سلالاتهم بعد، إحذروا.

دخل ضابط "إنجليزي" وجندي "صهيووني"، الأعرابي يؤدي التحية العسكرية.

الضابط: من يجروء، على مخالفة أوامر إنجلترا العظمى؟! "رصاصه في الكتف"

أمين: الإنسان المولود حراً، دون حدودكم العسكرية، دون أسيجة ولا خوازيق، حدودكم التي

منعتني من زيارة أختي في مدينة دمشق، الواقعة على
مرمى النظر "رصاصة في الكتف الثاني".

الضابط الانجليزي: هذه قراراتنا نحن، الدول
العظمى، الحلفاء المنتصرين على العالم، حقنا
السيطرة على العالم، ولأننا نقدر العلم والعلماء،
تعهدنا أمام العالم بتطوير التعليم.

أمين كنعاني: أتقدسون التعليم؟! ألهذا وقعتم
الأميين سراً، مستغلين جهلهم بما بصموا عليه، عن
شافطات النفط العملاقة؟! عن مصاصات ثروات
العرب؟!!

"الأعرابي رصاصة في الظهر"

أمين: أيها الشعب العربي أنحرث أرضنا بأيدينا،
مصاصات دننا العملاقة تحت أقدامنا.

"الجندي رصاصات في القلب، الضابط
رصاصات في الرأس"

اجتاحوا الأسيجة والخوازيق.

الأعرابي: إنتظرت لتصفية دمه، ألحين أنا
بصير أميركم.

فاطمة " بحزن شديد تعتلي المنطرة":

يا رفاق الأمين أين بطلي أين؟!!

بجلي بارودته فوق رأس العين

قلنا نصمده بالعقد من غربة

قلنا ندخله ع البيضة أم الخرقة

"تصرخ في كل فضاء": أنا عينك فلسطين، أنا

معاود، الأمين معاود، الأمين معاود.

انتهى

جامعة بغداد

"تدخل مريم المنزل"

فاطمة: هل من أخبار عن سامي؟ ماذا قال القادمون من بغداد؟

مريم: ابني سامي أنهى السنة الثالثة بنجاح، المهندس المعماري سامي كنعاني. فاطمة: انه نبيه مثلي، انا عمته فاطمة.

مريم: ذكاء الأم، وذكاء خاله الدكتور كريم.

ضاهر: الأب!! سقط سهواً من حسابات النساء، انه بذكاء أخي الأمين.

فاطمة: تغني لمريم " أمه يا أمه.. يخليلو أمه"

ضاهر: أنصتا لنشرة الأخبار.

صوت العاصفة: اقتحمت مجموعة من فدائيي الثورة الفلسطينية معسكرا لجيش الاحتلال، بالقرب من مدينة أريحا، خاضوا معركة، منذ فجر الأمس، كبدو الجيش خسائر فادحة، وعادوا إلى قواعدهم

سالمين. هذا وقد استشهد أربعة أبطال وتم أسر بطل واحد.

ضاهر: " يتحدث مع المذيع": أصبحتم أبطالاً أسطوريين، لم نعد نحيا هزيمة حزيران.

فاطمة: غداً تجتمع الأمهات، للتغني بالانتصارات، "الله معاك يافدائي يا بطل، يامضحي بروحك لأجل الوطن".

مريم: تناقلت الناس، أخبار الانتصارات بفخر وحماسة، غداً يوم مظاهرات ضد

الإحتلال، وكل فلسطيني سيكون في الشارع، هاتفين بصوت واحد.

انتهى

عشتار

(في الظلام الدامس يتم إيقاد نار في موقد
حجري للإضاءة، تظهر إلهة الخصب والولادة
"عشتار" إلى جانبها "أدونيس" طويل القامة، يجلسان
على كرسيين مصنوعين من الخشب والعاج، خمس
فتيات يوقدن، خمس مشاعل.)

الأولى: يا قداسة إلهتنا عشتار، أتيناك باحثات
عن "أدونيس"؟!!

عشتار: ولدي "أدونيس"؟! إنه هنا وهناك، وفي
كل الحقول، يبث روحه في إزهار الشجر، وسهول
القمح أينما تكون.

أدونيس: إنها روح إلهتي وأمي "عشتار".

الثانية: في بطنك تكونا، ومن صدرك منحتنا
روحاً للحياة وكأنها النعيم الأبدي.

عشتار: لولا روح ادونيس لما عشنا هذا النعيم
انه "النعمان".

الفتيات: النعمان انه اسم رائع.

الثالثة: أنا عاشقة لطولك أيها النعمان.

أدونيس: ولدتني أمي من جذع شجرة

"يضحك الجميع"

الرابعة: أحب روحك في نكهة كل فاكهة لذيدة.

الخامسة: أراك في كل لون ساحر، في الربيع.

عشتار: "النعمان" انه انتصاري للحياة الأبدية،
في هذا النعيم الابدي.

"أصوات مرعبة من تحت المنصة، ومن حولها
كأنه زلزال "تختفي الفتيات".

تظهر خمسة عفاريت ذات أصوات وإشكال
مرعبة، يحملون عتلات حديدية.

عشتار: من انتم؟

كبيرهم: نحن عفاريت لا تعرف الشفقة ولا
الرحمة، أرسلتنا الآهات الشر والموت، من العالم
الأسفل، اللواتي قررن موتك يا عشتار.

"عشتار وادونيس يتعاركان مع العفاريت"

كبيرهم: شقوا الرأس، شقوا الصدر، آتوني
بقلب ادونيس "النعمان"، هذا ما عشقته الآهة الموت
أيضاً، إجمعوا شقائق الجسد، إجمعوا الدم النازف من
شقائق النعمان.

عشتار: ولم الدم؟

كبيرهم: لينثر في أصقاع الأرض، فلا يعود من
موته الأبدي.

"تختفي العفاريت في ثوان"

تظهر الفتيات: أين أدونيس؟ أين النعمان؟! لا
جسد، لا روح.

عشتار: أدونيس الرقيق يموت؟!!

الفتيات: ما نحن فاعلات؟!!

عشتار "تعلي قمة المنطرة": إضربن صدوركن،
إضربن الخدود، مزقن أثوابكن حتى يعود من موته،
هنا، على جبل "المنطار"، أدونيس معاود، أدونيس
معاود.

انتهى

في مقر الحاكم العسكري

مريم: أنا "مريم الصايغ" أم الأسير "سامي" ضاهر كنعاني".

"تسحب من حقيبتها الجلدية صحيفة" هذه صورة ابني الأسير سامي، المنشورة في كل الصحف، كيف لي أن اعرف في أي سجن يكون؟!

ضاهر: أنا "ضاهر كنعاني" أبو سامي، زرت كل المحامين في البلاد، لتوكيل احدهم، اعتذر الجميع خوفاً من سطوة الاحتلال.

مريم: سامي ما زال على قيد الحياة؟! أم قتل أسير حرب؟!

ضاهر: "يسحب صحيفة من جيبه" هذه الصحيفة صدرت بعد عامين كاملين من اسر "سامي".

"اقرأ" إثر العملية الفدائية، في مدينة "جنين"، تم الحكم على الأسير "سامي ضاهر" بالسجن ثلاث مؤبدات بدلاً من مؤبد واحد.

"إضاءة نحو كرسي الحاكم العسكري الفارغ"

ضاهر: "يقرأ الإطار المعلق"مشغول"، الأمن القومي للدولة، آيل للسقوط.

مريم: "ضاهر" يا زوجي العزيز، "سامي" ولدنا الوحيد وحلمنا الوحيد، انه في سجن "الصحاري"؟! أو في مقابر الأرقام لأبطالنا الشهداء، لا بد لي من السفر الآن.

ضاهر: كيف تسافرين؟! سجن الصحاري بعيد جداً، الاحتلال دون أخلاق، لا يحترمون أحداً.

انتهى

حواجز الممنوع

"في البيت"

مريم : سنتان كاملتان، من مقر الصليب الأحمر، إلى مقر الحاكم العسكري. هل انتظر ألف عام حتى تتحسن أخلاق الإحتلالات؟ إبنى سامي، قُتل في زنزانته، فلذة كبدي دُفن جثةً رقماً، ألسنا بشرًا؟! ألسنت أما إنسانة؟! سوف أجد قبر سامي، بين آلاف الأرقام، من فلذات أكبادنا، أبطالنا أسرى الحرب، أي أم في هذا الكون؟! تحتل ما احتملت؟!

ظاهر: لم أسمح لك ولا لفاطمة، لن تحتملا هذا السفر، لن تحتملا حواجز الممنوع. ممنوع دخول العرب، ممنوع دخول المسلمين، ممنوع دخول المسيحيين. أنا لم اعبر حواجز الإذلال يوماً، ولن أعبرها ما حييت!!، لن أقف، مستجدياً زيارة إبنى سامي!!

مريم : حواجز الممنوع، تتعمق في الأرض وتعلو فوقها، وتنتشر كالنار في الهشيم.

انتهى

سجن الصحاري

"تدخل فاطمة، يرافقتها جندي"

الجندي: إدارة السجن والصليب الأحمر، وافقوا على الزيارة لمدة خمس دقائق فقط.

الضابط: أنا لا أسمح لكل رؤساء العالم، التدخل في عملي، ممنوع يعني ممنوع.

فاطمة: "للضابط" أنا ابحت عن الأسير، "سامي ظاهر كنعاني". الأسير الجالس على الكرسي، غير منتصب الظهر ولا الرأس.

الضابط: هذا هو.

فاطمة: لا شعر الرأس كث، ولا شعر لذقن سامي، لا تشويهاات في الرقبة ولا في الرأس.

الضابط: هذا هو الإرهابي "سامي".

فاطمة: سامي حبيبي، أنا عمك ، أنا عمك فاطمة.

سامي: آه ما أروع هذا الصوت!!

فاطمة: "سامي" ألا تراني؟ هل تراني؟ يا حبيب
الروح.

سامي: لماذا أتيت لزيارتي؟!

الضابط: سنوقف التعذيب، إذا اعترف.

سامي يصرخ بصوتٍ مدوّ: "انتهت الزيارة"

انتهى

في البيت

"ضاهر و مريم ينصتان".

فاطمة: أسير الحرب سامي كنعاني إتكا برأسه
إلي الكرسي الكهربائي، كما ثبت يديه ورجليه، صرخ
بصوتٍ مدوّ، إنتهت الزيارة. يقال أن صوته أسمع كل
فلسطين، وقف له كل الأسرى العرب فخرأ، هاتفين
للقائد العملاق، سامي كنعاني. ويقال أيضاً أنه كان
لصوته صدى، أسمع فضاءاتٍ كونية، أيقظ روح
الشهيد "أمين كنعاني" من غفوته، هاتفاً للقائد العملاق
سامي.

مريم: فاطمة أرجوك إرتاحي.. تمددي.

فاطمة: ضاهر، منذ خروجي من سجن
الصحاري، سألت ركاب أول الحافلات ماذا يعني
حكم ثلاث مؤبدات؟ كم من الأعوام تكون؟ لم يجبني
أحد. سألت ركاب آخر الحافلات، ماذا يعني حكم
ثلاث مؤبدات؟ كم من الأعمار تكون؟

كم من الأجيال تكون؟ بكت قلوبهم فقط.

مريم: "أرجوك" ارتاحي، أخلدي للنوم يا فاطمة.

ضاهر: إنه تعب السفر.

فاطمة: أنا عينك فلسطين، "ماتذليش" أنا عينك
فلسطين أنا معاود، الامين معاود، سامي معاود.

مريم : "ضاهر" ماذا يعني ثلاث مؤبدات؟! كم
الف عام تكون؟!!

ضاهر: فاطمة غفت بسرعة.

مريم: الامس البرد على جبينها.

ضاهر : فاطمة.. أفيقي من نومك.

مريم: عودي للحياة، قومي من نومك يا فاطمة.

ضاهر"بحزن عميق": أيتها الأخت الجثة،
حدثيني عن أخبار سامي؟! لماذا لم تنتظري فاطمة،
ماذا يعني حكم ثلاث مؤبدات?!!

انتهى

ادونيس

"يتم ايقاذ ذات النار، أمطار غزيرة، رياح، برق ورعد."

عشتار: (من على المنظره)، يا أهل الشاطئ، أيها الفينيقيون، هل عاد النعمان من موته؟! أجيبوني، يا بدئ الذكاء أجيبوني، ادونيس النعمان يموت؟!!

"الفتاة الأولى تصل القمة تحمل زهراً أحمر اللون": في مملكة غزة، بحث عنه الفلاحون والملاحون، لا يوجد أدونيس.

"الفتاة الثانية تصل القمة تحمل ذات الزهر": ملك مدينة يافا، اعتلى مركبا شراعيا، بمحاذاة الساحل، لم يعد النعمان من موته.

"الثالثة والرابعة تحملان ذات الزهر" معا: لم يعد من موته، لا في مملكة حيفا، ولا في مملكة عكا.

"الخامسة" تصل تحمل ذات الزهر": أذكى الحكماء في مملكة صور، وجد هذا الزهر الأحمر،

الذي نبت حيث الدم المنثور من شقائق النعمان، محبة
لك يا (عشتار)، أيتها الأم، إنه في موت أبدي.
عشتار: أشم وأرى، محبة ولدي أدونيس.
الفتيات: من لا يعشق، رائحة هذا الزهر!
عشتار: أيتها الفتيات، ليكن اليوم عيداً للعشاق.
الفتيات: بل عيداً وأفراحاً للأم أيضاً، لك يا
عشتار.

انتهى

أفراح الوطن والشتات

"ضاهر" يرتدي بدلة أنيقة، "مريم" ترتدي ثوبا مطرزا كما هي الأفراح.

ضاهر: "يقرأ الصحيفة" ديباجة أسرانا المحررين المبعدين، أسيرنا المبعد خارج الوطن، "سامي ضاهر كنعاني".

مريم: "ضاهر" شاهد معي نشرات الأخبار، ها هم يعتلون الطائرات، إبحث معي عن وجه "سامي".

ضاهر: التصوير من بعيد.

"اغاني المذيع":

بالأحضان بالأحضان بالأحضان

بالأحضان يا بلادنا يا حلو، بالأحضان

مريم: "مصر" أم الدنيا بانتظار "سامي".

ضاهر: "وانتصارات أكتوبر" أيضا.

بكتب اسمك يابلادي

الحضور:

ياميجنا يا ميجنا يا ميجنا.

المغني: الاوف الطويلة:

مساء الخير يمسيكم جميعا وقبّل لي أياديكم
جميعا

اليوم السهر وانخاكم جميعا حتى تصيح
"ليلي" يابشر

الحضور:

ياميجنا يا ميجنا يا ميجنا

المغني: الأوف:

صعدنا لرأس طلعة وماتعبنا شبكنا في
الوطن وما تعبنا

تحرير أسرانا اليوم فرحنا رجانا فيك يا
عالي السما

الحضور:

ياميجنا ياميجنا ياميجنا

"تعلو أصوات الأفراح، يتداخلها أصوات
مكبرات أخرى".

الجيش: ممنوع التجوال، ممنوع التجوال،
"يرافقها أصوات الرشاشات، من كل اتجاه": عودوا
إلى بيوتكم.

أغلقوا الأبواب، أغلقوا الشبابيك، ممنوع الوقوف
إلى جانب الشباك.

"ساد صمت في البلد"

انتهى

فرح الحلبي في المنزل

"صوت طرق هادئ للباب"

ضاهر: أهلا وسهلا تفضلي.

الفتاة: حضرتك؟! عمو "ضاهر كنعاني"؟!

ضاهر: أنا ضاهر تفضلي.

"تدخل فتاة في نهاية العشرين من عمرها ترتدي
بنطال جينز وقميص أنيق"

الفتاة: حضرتك "خالتو" أم سامي؟! أنا فرح
حلبي، ألا تذكريني؟! ألا تذكرني صوتي؟"

مريم: "تصافحها"، كيف لنا أن ننسى صوتك؟!
كلما زرت "سامي" هاتفنا كما الملائكة.

فرح: كم تمنيت زيارتكم! منذ سنوات، كم حلمت
أن أقود "سيارتي" لمدة ساعة واحدة، من بيتي في
الناصره، إلى هنا إلى جبل المنطار، لكن سطوة
الإحتلال هي الأقوى، وحواجر الممنوع أيضاً.

"يدخل الضابط صارخاً في وجه فرح: انتهت زيارتك، ويا حقوق الإرهاب."

فرح: "بنبل"، حقوق الإنسان، حقوق أسرى الحرب.

"يدخل رجلاً يشبه إنسان الغاب، متشنج اليدين والعينين "

فرح: علي العودة إلى البيت، أبي وأمي في خوف دائم.

ظاهر: إحلمي سلامي، وامتناني لوالديك ولكل أهل الناصرة، جيراننا منذ الأزل، وإلى الأبد إن شاء الله.

مريم: الناصرة ما زالت تعج بالملائكة مثلك يا فرح.

فرح: شكراً خالتو، سوف أتصل دائماً، أنت بطلنا جميعاً يا سامي.

"تخرج"

الضابط: هذا هو الإرهابي (سامي) الأخطر على امن الدولة. وتنفيذا للقوانين العسكرية، تم فرض الإقامة الجبرية العسكرية، مدى الحياة، ممنوع الخروج من المنزل، لا يسمح لأي إنسان الاقتراب من المنزل، تم فرض حصار عسكري حول البيت، وأي مخالفة للأوامر، فهدم البيت على رؤوسكم هو العقاب.

الضابط "يهم بالخروج": أين جهاز الهاتف!؟

ضاهر: هناك الجهاز.

الضابط: تم قطع الخدمة، والأسلاك الموصلة أيضا.

مريم: إنها مفاجأة سارة، إبنى سامي، في البيت، في حضن أمه.

ضاهر: خمسة عشر عاماً في الأسر، ما أروع ان تعيش حراً يا سامي، تتوسط أباك وأمك.

مريم: أكيد أنت جائع، "تأتي بالطعام"

ضاهر: حدثني يا سامي عن أخبارك.

مریم: کل یا سامی، هذا "ورق دوالي"، "تضع
في فمه".

"سامی يتوتر غضباً"

مریم: هذا الطعام الذي تحب، طعام أمك "مریم
الصايغ".

"سامی تصيبه هستيريا"

ظاهر: اتركه يهدأ.

مریم: هل نسيته يا سامی!؟

ظاهر: لا تقلقي، من الطبيعي أن ينسى، هيا إلى
النوم، لنعود إلى أعمالنا.

انتهى

د. كريم الصايغ

سامي حليق الذقن وشعر الرأس، ضاهر ومريم
في حزن شديد محدقان في وجه سامي، "مريم تطعمه
فيأكل".

(طرق على الباب الخفي)

ضاهر: لا بد انه احد الجنود (يفتح الباب).

مريم: أخي؟! أهلا تفضل كريم.

د. كريم: ما الذي يجري في هذا البلد؟! ثكنة
عسكرية دائمة.

سامي؟! ما أروع هذا الفرع أبطالنا المحررين،
اعتقدت انك في دمشق!

ضاهر: اخفض صوتك يا د. كريم، الجيش حول
المنزل، وعلى السطح أيضاً.

د. كريم: لماذا لم تخبريني من هاتف المدرسة؟

مريم: حتى لا نقتل، جميعاً برصاص الرشاشات، أنا في خوف دائم، في رعب دائم، ستة شهور مرت وخوفي يزداد.

ضاهر: يا د. كريم، عند كل خروج توقع تعهداً بعدم البوح لأي شخص عن وجود "سامي" في البيت.
مريم: سامي قيد الإقامة الجبرية العسكرية، إبني لا يعرفني، لا يتذكر أنني أمه، ولم يعرف أباه.

ضاهر: أسيرنا غير المحرر سامي، مازال يعيش في زنزانه، كلما حادثته أبعدي عنه، بعصبية مرعبة، أفرحنا كما الصاعقة، نقلتنا إلى حزن شديد.

د. كريم: هل استدعيتم طبيباً؟!

مريم: رجوتهم دائماً، ممنوع ممنوع.

د. كريم: "سامي" هل تراني؟ أتذكرني؟ يدفع د. كريم بقوة وعصبية، ربما تعرض الى صعقات كهربائية قوية، لا يحتملها أي إنسان، ربما حقن أدوية أو سموماً أدت إلى تدمير الدماغ، نحن لا نعرف ماهية هذه السموم، المستشفيات هنا لا تمتلك أجهزة متخصصة، علينا ترتيب سفرة خارج البلاد.

ظاهر: فلسطين بأكملها، في حصارٍ عسكري
إلى الأبد، فما بالك بمنزلنا، الثكنة العسكرية؟! مدى
الحياة؟!!

د.كريم: في كل مدينة يوجد العشرات، بذات
الحالات المؤلمة الموجهة، جميعهم من أبطال المقاومة
البارزين، لم يسمح لنا، بالاستعانة بطبيب متخصص
من خارج البلاد، ولا استيراد جهازٍ طبي متخصص.

مريم: لم يشفَ أسير واحدٌ، من أسرى الحرب،
المصابين بذات الجنون، كيف لسامي كنعاني أن
يشفى؟! أسيرنا غير المحرر بل المدمر بالجنون،
بالأدوية أو بالسموم.

ظاهر: اسري الحرب العماليق، الهائمين في
الجبال، وفي الشوارع هاتفين.

مريم: إلى العمل إلى المدرسة.

كريم: وأنا أيضا إلى القدس.

انتهى

عدا الشامية

"سامي، ضاهر ومريم، من على المنطرة"

سامي: اليوم قررت الصعود، الى جبل المنطار،
واعتلاء المنطرة، ثمانية عشر عاما من الغياب، شوقا
لقمم، وعشقا لساحل البحر الفنيقي.

ضاهر: سامي كنعاني، ايها المنتصر، على
عزلتك، انت صاحب ارضنا في السهل، وجميع
اشجار الزيتون الجبلي، عدا "الشامية" تبقى لنا.

سامي: ولما "الشامية" بالتحديد؟!

ضاهر: في ظلال "الشامية" ولدتني امي، في
ظلالها، روحا ابي وامي ترفرفان، روحا جدي
وجدتي الطاهرتين، والاجداد حتى كبير الاجداد
"كنعان"، جذرنا الشامخ في اريحا، منذ عشرات آلاف
عام.

مريم: "الشامية" علمتي السلام الشامخ، السلام
الشامخ يا سامي.

انتهى

لأحفادي

"على المنظرة، تظهر عشتار، طيفا بلون
الارجوان".

عشتار: ارى مروجاً من اللون الاحمر القاني،
زهور الزنبق الساحر هدية لكل عاشق، "ادونيس
معاود" عيداً للعشاق وفي كل عام، الاحمر القاني
انتشر ليصبح لونا كونيا، وليس كنعانيا فقط، "ادونيس
معاود" كما وعدني منذ ثلاثة الاف عام.

النسر الفلسطيني العملاق

من هنا، في مدينة رام الله، من على الضريح العالي، أراك أيها النسر الفلسطيني العملاق تحلق عالياً عالياً في الفضاء حيث اللاحدود الجغرافية، المذلة للإنسان، كيف لا؟ وانت المولود حراً، كما الإنسان المولود حراً منذ فجر التاريخ.

الفيلسوف إدوارد سعيد: هنا ولدت نسرًا صغيراً، في قصر ك فلسطيني بالغ الثراء، في حضن النور الفينيقيين، الفخوريين بالثقافتين معاً، ثقافة الشرق وثقافة الغرب وفي حضن البيانو، عازفاً لموسيقى موتزارت، في مبادئ الحب والسلام، تبنى الحضارات، أما الحروب تهدم الحضارات وتبطل بذات الإنسان.

من هنا، من على هذا القصر حلقت عالياً لتهبط على قمم أبراج نيويورك، ملتقى العلماء، المفكرين متعددي الثقافات والاصول، حلقت عالياً حيث تمنيت، حين كان الغرب غرباً يعج بنور الحريات الإنسانية.

لتحيا هناك، حتى سادت صقور الحروب
الباطشة، في عقر دار المخططين لاشعال الحروب،
نهبا لقوت الشعب العربي، منذ مائة عام مضت
وللمائة عام القادمة.

النسر الوحيد المناضل لكل الصقور، مقاوما
عنيدا لمرض السرطان، من ذا الذي يقول؟! بانك
النسر العربي الأخير؟! وقد ترعرعنا نسوراً صغاراً
في ظلال جناحيك العملاقين، للحريات، لمبادئ
الحب والسلام.

أيها المفكر العملاق، انت من اولج لنا الالفية
الثالثة "بثورة الياسمين"، للشعب التونسي.

أورثتنا علما، فكرا، فلسفة، خططا تكفيننا للاف
عام القادمة، لماذا لا تصعد روحك الى اعالي
السماء؟! الى الراحة الابدية؟!

انتفض النسر الفلسطيني العملاق، قال غاضبا:
"ماذا؟! اي راحة ابدية؟! فواجع اللاجئين، ما زالت
الاما في روحي، ولن أصعد حتى عودتهم من
المخيمات، الى مدنهم هم، الى قراهم هم بسلام.

النهاية

